صالح أحمد الشامي

رحلتي

في ظلال السُّنَّةِ النَّبويَّةِ

دار القلم
دمشق

رحلتي

في ظلال السنة النبوية



الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ ـ ٢٠١٦م

تُطلب جميع كتبنا من:

دار القلم ـ دمشق

هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣

www.alkalam-sy.com

الدار الشامية ـ بيروت

هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)

ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

توزّع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير ـ جدّة

٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٥٧٦٢١ فاكس: ٦٦٠٨٩٠٤

صالح أحمد الشامي






بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، حمداً طيباً مباركاً فيه، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فقد وصلتني رسالة من ابن أخي الأستاذ مصعب بن عبد الرحمن الشامي ـ حفظهما الله ـ يطلب مني فيها أن أكتب تفصيل عملي في السُنَّة الشريفة، فيما يسَّر الله لي إخراجه من كتبها، في المشروع الذي أطلقتُ عليه فيما بعد: «مشروع تقريب السُنَّة المطهَّرة» وكيف كانت البداية.. وما يتصل بذلك، إلى أن تمّ المشروع.

كان هذا قبل صدور كتاب «جامع الأصول التسعة» وبعد نزول هذا الكتاب إلى المكتبات، تكرر هذا الطلب من عدد من الإخوة القرَّاء من أماكن متعددة.

وقد رأيتُ أن ألبّي رغبتهم، وإن كان بعض ما سوف أسجله مدوَّنًا في مقدِّمات تلك الكتب.

وهي تجربة شخصية متواضعة، لم أقلِّد فيها غيري، بل لم يكن هناك ما أنسج على منواله بعد البحث، فتمحَض العمل جديداً، مما يسَّر الله تعالى وهداني إليه.

هذا، وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

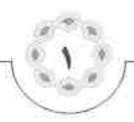
غرة محرم ١٤٣٧هـ
٢٠١٥/١٠/١٤م

وكتبه
صالح أحمد الشامي

بين يدي الرحلة







واجب الصلة بالسنة

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

السنة الشريفة هي الشارحة والمبينة للقرآن الكريم.

ومن حكمته تعالى، أن جعل هذا البيان لكتابه بياناً حياً، يتمثل في واقع عملي، يتعامل مع معطيات الحياة، ويعيش كل أجوائها.. وليس مجرد نصوص تشرح كلمات غامضة، أو تبين عبارات استغلق على الفهم إدراك معناها.

وكان المبين ﷺ إنساناً، يعيش مع الناس حياتهم بكل ما فيها من فرح وسرور، وآلام وأحزان، ومشقة وتعب.. وفقر وغنى..

فكان قوله بياناً، أمراً كان أم نهياً.

وكان فعله بياناً، في الرضى والغضب.. في العادات والعبادات والمعاملات، وكان إقراره بياناً..

إنه بيان حيّ، يفهمه كل إنسان، لأنه واقع منظور، ويدرك مدلوله كل ذي لب بحسب ما رزق من فهم ووعي وعلم.

وقد نصت الآية الكريمة السابقة على هذه المهمة البيانية للنبي ﷺ.

وأكد ذلك بقوله ﷺ: « ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه»

أخرجه أبو داود وصححه الألباني وهـــذا «المِثْلُ» هو ما قام به ﷺ من شرح وبيان.

وقال ﷺ ـ كما فـــي الموطأ ـ: «تركت فيكـــم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما، كتاب الله، وسُنَّة نبيّه».

وقال ﷺ ـ كما في المستدرك وصححه الألباني ـ: «إني قد تركت فيكم شـيئين لن تضلوا بعدهما، كتاب الله وسُنّتي، لن يتفرّقا حتى يردا عليَّ الحوض».

وفي السنن الكبرى للبيهقي: عن أبي نضرة قال: كنّا عند عمران بن حصيـــن رضي الله عنه، فكنا نتذاكر العلـــم، فقال رجل: لا تتحدثوا إلا بما في القرآن.

فقال له عمران: إنك لأحمـــق، أوجدت في القرآن: صلّوا الظهر أربع ركعات، والعصر أربعاً لا تجهر بالقراءة في شيء منها.. الحديث (١٩٤/٢).

كل هذه النصوص تدل دلالة واضحة على مكانة السُـــنّة، وأنها الشارحة والمبينة للقرآن الكريم. يؤكد هذا ـ إضافة إلى الآية السابقة ـ قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُـذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

فيحسن من كل مســـلم، بل الواجب عليه ـ وقد تبين له تلك المكانة الرفيعة للســـنة المطهـــرة ـ أن يبادر إلى التعرف على أكبر قـــدر منها، حتى تكون أقوالـــه وعباداته ومعاملاته تطبيقاً لما جاء به هذا الدين الحنيف.



الرحلة في طلب علم الحديث

كانت الرحلة والسفر ديدن طلاب علم الحديث على مرّ القرون، للقاء الأئمة والأخذ عنهم.. وهذا مدوّن في تراجمهم وسيرهم.

وكانت مدن العلم وعواصمه كثيرة، منهـا: المدينة النبوية المنوّرة، ومكة المكرمة، ودمشق، وبغداد، والبصرة، والموصل، وبخارى، ونيسابور، وخراسان، وسمرقند، وقزوين، واليمن.

وظهر في هذه المدن أئمة أعـلام، قصدَهم طلاب العلم من كل مكان.

وكان على كلّ طالب علم أن يعدّ نفسه لهذه الأسفار.

ومع مرور الأيام ضعفت الهمم، واكتفى طلاب العلم في كل بلد بالأخذ عن العالم الذي في بلدهم، وقد سـجل هذه الظاهـرة العلامة الموصلـي (ت ٦٢٢هـ) فـي مقدمة جمعه للصحيحين بقوله: «ولمـا كان علم الحديث، ورأيت إعراض الناس عنه، وسبب ذلك أربعة أشياء وذكر منها السفر...».

ثم ظهرت الطباعة في بلاد المسـلمين مـع مطلع القرن العاشر الهجري، فأحدثت تغيراً نوعياً في طريقة طلب العلم.

فنشأت عواصم جديدة لطلب العلم، هي مؤلفات الأئمة.

ومن هذه العواصم: موطأ الإمام مالك، مسند الإمام أحمد، الجامع الصحيح للإمام البخاري، صحيح الإمام مسلم، سنن الإمام أبي داود، جامع الإمام الترمذي... وغيرها كثير كثير.

وبعد أن كانت الرحلة إلى عواصم العلم، أصبحت الرحلة فيها... في صفحات الكتاب وبين أسطره.

واكتفى طلاب العلم بالسعي للحصول على كتب هؤلاء الأئمة الأعلام، والتتلمذ عليها إما بالقراءة على شيخ والتتلمذ عليه، وهي الطريقة الأكثر شيوعاً.. وإما باكتفاء طالب العلم بالرجوع إلى هذه المصادر مباشرة..

وكنتُ واحداً من هذا النوع الأخير، ولم يكن واسطة بيني وبين هؤلاء الأئمة الأعلام.. فتتلمذتُ على أيديهم مباشرة، تلك الأيدي التي كتبت هذه الكتب الأعلام.

لم يكن ذلك في مقتبل العمر، وأنا واحد من خريجي إحدى كليات الشريعة، واشتغلت بالعلم بعدها وظهرت بعض كتاباتي في السيرة النبوية وغيرها.

أقول: لم يكن ذلك في مقتبل العمر، وإنّما بعد بلوغ سن الخمسين حيث بدأت رحلتي إلى إمام الأئمة في علم الحديث الإمام البخاري، ثم اتجهت إلى الإمام مسلم.. وبعد التلمذة على يديهما خرجت وأنا أحمل معي كتاب «الجامع بين الصحيحين».

تلك بداية رحلتي..



كلمة حول فكرة جمع السُّنَّة

ظهرت في أيامنا هذه فكرة جمع السُّـنَّة المطهَّرة، وهي فكرة جليلة تستحق التقدير والاحترام.

وقد انتقل بعضهم بهذه الفكـرة من المجال النظري إلى الميدان العملي...

وهناك أكثر من مشروع وضع لإنجاز هذا العمل، ولكننا ـ وحتى كتابة هـذه الأحرف ـ وبعد مضـي أكثر من ثلاثين عاماً... لم تصل تلك المشاريع إلى غايتها المرجوة.

ويرجع في نظري عدم نجاحها إلى أكثر من سبب.

من ذلـك: عدم تصور الهدف والغاية التي تجمع السُّـنَّة من أجلها...

ومن ذلك: أن هذه المؤسسـات لم تسـتأنس بآراء أهل الخبرة والدراية.

* * *

إن مسألة «جمع السُّنَّة» تحتاج إلى تحديد الهدف والغاية أولاً، ثم وضع الخطوات التي توصـل إلى ذلك؛ ولا بدَّ أن يكون ذلك صادراً عن رأي جماعي يشترك في وضعه العلماء وأصحاب الخبرة في هذه الميادين.

ومن أجل الوصول إلى ذلك، فإني أرى من واجبي المشاركة في إبداء الرأي ووضع التصور الذي توصلتُ إليه بين أيدي أساتذتنا من العلماء، وهو جهد المقل، وعسى أن يبارك الله فيه.

* * *

إن فكرة «جمع السُّنَّة» ليست جديدة على العلماء، وقد بُذلت جهود كثيرة من أجلها، وهي جميعها تصبُّ في الوصول إلى هذا الهدف. ومن هذه الجهود:

أولاً: الجهود التي بذلت في جمع كتابين أو أكثر في كتاب... كـ«جمع الصحيحين»، و«جامع الأصول»... وغيرها، فإنها كانت تهدف إلى تقليل عدد الأحاديث وعدم تكرار الحديث الواحد... وبالتالي تقليص مساحة البحث ففي «جامع الأصول»، ربما كان الحديث في كتابين أو ثلاثة من كتب الجامع، ومع ذلك فإنه يذكره مرة واحدة، وبهذا تضيق مساحة البحث، ويتوفر الوقت.

ثانياً: تلا ذلك الجهود التي عملت على استخراج الزائد في كتاب ما، على ما في كتاب آخر، والتي أطلق عليها اسم «كتب الزوائد».

إن جمع كتابين، أو عدة كتب، في كتاب واحد، أو استخراج الزائد في كتاب على كتاب آخر، أو عدة كتب، يسَّر على الباحثين عملهم، ووفر عليهم بعض أوقاتهم. وهو ـ في

الوقت نفسه ـ خطوة على طريق «جمع السُّنَّة» إذ غايته تصغير مساحة البحث.

وإذاً ففكرة «حذف المكرر» قد سعى إليها العلماء، وبذلوا من وقتهم وجهدهم الكثير لتحقيقها.

* * *

والذي أراه أن الغاية من جمع السُّنَّة هو تقريبها من أيدي المسلمين، بحيث يتوفر لكل مسلم ما هو بحاجة إليه من العلم، وإذا كان المسلمون ليسوا في مستوًى واحد من حيث حاجتهم ـ فحاجة العالِم غير حاجة طالب العلم، وحاجة الباحث والمجتهد غير حاجة العالِم ـ فالواجب مراعاة ذلك.

وبناءً على ذلك، فالذي أراه أن كُتُبَ السُّنَّة يمكن تقسيمها إلى مجموعتين:

المجموعة الأولى: وتضمُّ الكتب التسعة وهي: «موطأ الإمام مالك»، و«المسند» للإمام أحمد، و«الجامع الصحيح» للإمام البخاري، و«صحيح الإمام مسلم»، و«سنن أبي داود»، و«جامع الترمذي»، و«سنن النسائي»، و«سنن ابن ماجه»، و«سنن الدارمي».

والمجموعة الثانية: وتضمُّ ما وراء ذلك من كتب السُّنَّة، وهي كثيرة.

* * *

إن المجموعــة الأولى: تضمُّ من الأحاديــث ما فيه تلبية لحاجة طالب العلم، والعالِم، وعامة الناس.

وقد يسَّر الله جمع أحاديثها في كتاب واحد تحت عنوان: «**جامع الأصول التســعة من السُّنَّة المطهَّرة**» الأمر الذي يجعل طالب العلم يحصل على مبتغاه في سهولة ويسر.

وقد بلغ عدد أحاديث الكتب التســعة بعد حذف المكرر (١٦٦٤٦)، ـ بما في ذلك معلقات البخاري ـ وأما عدد أحاديثها قبل ذلك فهو (٦٧٤٥٣) والرقم الأول يعدل أقل من ربع الرقم الثاني. وبهذا يتبيّن حجم توفير الجهد والوقت.

* * *

وأما المجموعة الثانية: وهي التــي تضمُّ ما وراء الكتب التســعة من كتــب الحديــث، فهي مــا يحتاجــه الباحثون والمجتهــدون، وهي كثيــرة كثيرة، حتــى ما يــكاد العالم المتخصص أن يلمّ بها... فإن جمعها يحتاج إلى جهد وصبر وتعاون.

ومن أجل إيجاد هذا الكتاب الذي يضمُّ هذه المجموعة، أرى أن تستخرج الأحاديث الزائدة على ما في الكتب التسعة من هذه الكتب مع مراعاة ما يلي:

١ ـ اشــتراك العلماء بهذا العمل بحيث يأخذ الواحد منهم كتاباً أو أكثر، فيستخرج زوائده على الكتب التسعة.

٢ ـ توحيد المخطط من حيث العناوين في الكتب والفصول والأبواب... حتى يسهل فيما بعد تنسيق المجموع.

٣ ـ الاقتصار على الأحاديث المرفوعة وما في حكمها دون الآثار. وإن رغب القائمون على العمل بجمع الآثار، فلتكن في عمل آخر موازٍ للعمل الأول ومستقل عنه.

٤ ـ إذا استكمل العمل؛ يتمُّ التنسيق بين حصيلة هذه الكتب بحيث يحذف المكرر منها.

٥ ـ اختيار لجنة من العلماء للحكم على هذه الأحاديث صحةً وضعفاً.

* * *

وفي اعتقادي أن هذا الكتاب الذي سيجمع هذه الحصيلة لن يكون كبيراً. ولبيان ذلك بلغة الأرقام أقول:

ـ مجموع أحاديث «صحيح ابن خزيمة» (٣٠٧٩) وعدد الأحاديث الزائدة فيه على الكتب التسعة (٢٩٦) حديثاً بما في ذلك الآثار. أي: بنسبة تقل عن عشرة في المائة.

ـ مجموع أحاديث «صحيح ابن حبَّان» (٧٤٩١) وعدد الأحاديث الزائدة فيه على الكتب التسعة (٥٣١) حديثاً بما في ذلك الآثار. أي بنسبة تقل عن ثمان في المائة.

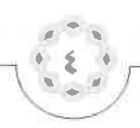
ـ وإذا أضفنا إلى ذلك حذف الأحاديث المشتركة بين الكتابين ـ وهي بحدود خمسين حديثاً ـ فإن العدد سيقل.

ـ وإذا حذفنا الآثار أيضاً، فسيقل العدد مرة أخرى.

هذا ما رأيتُ أن أضعه بين أيدي العاملين في هذا الميدان المبارك، عسى الله أن ينفع به.

اللهم وفقنا لخدمة سنَّة نبينا محمد ﷺ واجعلنا من العاملين بها، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

* * *



العيش في ظلال السُّنّة

قال الشـيخ علـي الطنطـاوي رَحِمَهُ اللَّهُ ـ داعياً إلـى قراءة السـيرة ـ: «وابدأ فانظرْ ما أُلف في سيرة سـيد البشر ومعلم الخير ﷺ وكيف دُوِّنتْ حركاته وسـكناته، وألفاظه وإشاراته في مئات من الكتب..».

ومن قبله قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وإذا كانت سـعادة العبد في الدارين بهـدي النبي ﷺ، فيجب على كل من نصح نفسه، وأحب نجاتها وسعادتها، أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به، ويدخل في عداد أتباعه..».

وقال أيضاً:

«إذا صـدق العبد في إرادة ربه رزق محبة الرسـول ﷺ، فجعله إمامه ومعلمه وقدوته... فيطالع سـيرته ومبادئ أمره، وكيفية نزول الوحي عليه، ويعرف صفاته وأخلاقه، وآدابه في حركاته وسـكونه، ويقظته ومنامه، وعباداته ومعاشرته لأهله وأصحابه، حتى يصير كأنه ـ معه ـ من بعض أصحابه».

وكثير من الأئمة قد أوصوا بمثل ذلك.

فالتعرف على سـيرة الرسول ﷺ وسُـنته ليس نافلة من النوافل، بل هو فرض من الفروض.

وذلك لأن محتبه ﷺ شـرط في الإيمان، وكلما ازدادت هذه المعرفة كلما ازداد هذا الحب.

وكذلك فاتباعه شرط للحصول على محبة الله تعالى لنا، كما هو التعبير عن حبنا لله تعالى.

وبمعرفة سُـنته وسـيرته نتعرف على معالـم هذا الدين الحنيف الذي نتعبد الله تعالى به.

* * *

ولقد أتيح لي بحمد الله تعالى أن أعيش أوقاتاً طويلة مع سُنته وسـيرته ﷺ، فعشـتُ معه في مكة وهاجرت معه إلى المدينة، وعشـت معه بعـد ذلك في المدينـة وهاجرت مع أصحابه إلى الحبشة الهجرة الأولى والثانية..

رأيته في غار حراء حين نزل عليه الوحي لأول مرة.. كما سمعته وهو يتلو آخر آية نزلت عليه وهي قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة: ٢٨١].

كنـت أرقبه في صلاة الصبح من كل يـوم عندما يجلس بعدها إلى طلوع الشـمس، وأصحابه قريباً منه يتحدثون عن أيام جاهليتهـم ويحمدون الله على ما هداهم إلى الإسـلام، ويضحكون من جهلهم الذي كانوا عليه، ويتبسم رسول الله ﷺ فرحاً بأصحابه أن عاشوا الفرق بين الإسلام والجاهلية.

ولم يعرف الإسلام من لم يعرف الجاهلية.

وكذلك ها هو ﷺ في غرفة السيدة عائشة رضي الله عنها يصلّي قيام الليل فلا يجد مكاناً لسجوده، حتى تكف رجليها فإذا قام بسطتهما..

ورأيته مرة استوقفته امرأة مسكينة فوقف معها وطال وقوفه حتى قال أحد أصحابه: لقد رثيت لحاله من طول القيام.

وها هو في المسجد وقد رأى أحد أصحابه لا يحسن الصلاة فقال له: (**ارجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ**).

ولقد رأيته في غضبه لله مرات.. جاءه أسامة يتشفع بالمرأة التي سرقت.. فغضب وقال: (**أتشفع في حدٍّ من حدود الله؟**).

وشكا أحدهم معاذاً لإطالته الصلاة؛ فغضب وقال: (**أيها الناس إن منكم منفِّرين**).

وكان في طريقه مرة وأمامه أبو مسعود الأنصاري يضرب غلاماً له.. فقال له: (**اعلم أبا مسعود، لله أقدرُ عليك منك عليه..**).

ورأيته في مزاحه.. وفي سباقه للسيدة عائشة مرتين، مرة بعد مرة.

وسمعته يقول: (**استوِ يا سواد..**) فقال له: أوجعتني.. وأقاده من نفسه ﷺ.

ولقد كنت في الخيمة التي جمع فيها الأنصار بعد حُنين، عندما عتبوا عليه في توزيع الغنائم فجمعهم ليشرح لهم سبب ذلك.. وبكى الأنصار، ولقد بكيت معهم..

لقد عشتُ مع صحابته ﷺ ورضي عنهم.

عشتُ مع عائشة رضي الله عنها مصابها حتى نزلت براءتها.

وعشتُ مع كعب بن مالك محنته حتى تاب الله عليه.

ورأيتُ ذلك الراكب في غزوة تبوك.. فيقول ﷺ: (**كن أبا خيثمة**) فكان أبا خيثمة..

لقد عشت السيرة النبويَّة وسمعت السُّنَّة النبويَّة فكانت سعادة لا توصف، كنت أبكي تارة، وأضحك أخرى، وأحزن وقتاً، وأفرح وقتاً آخر.

لقد قاربت أن أكون كما قال الإمام ابن القيم: «حتى يكون معه كأنه من بعض أصحابه».

تلك كانت مشاهد من رحلتي في ظلال السُّنَّة والسيرة قدمتها بين يديّ جوابي على الرسالة.

وأحمد الله تعالى أن وفقني ويسَّر لي أن أضع بين يديّ كل مسلم:

١ ـ ما يلبي حاجته ـ كحد أدنى يفي بالغرض ـ في ما ينبغي معرفته من السُّنَّة في كتاب «معالم السُّنَّة النبويَّة».

٢ ـ وفي السيرة في كتابين هما: «من معين السيرة» و«من معين الشمائل».

وهذه الكتب الثلاثة توفر ـ إن شاء الله ـ للقارئ أن يعيش بعض وقته في ظلال السُّنَّة والسيرة.. فيستشعر السعادة في تلك الظلال.

الباب الأول

رحلتي
في ظلال السنة النبوية





تمهيد



مشروع تقريب السُّنَّة المطهَّرة

بلغ عدد الكتب الصادرة في هذا المشـروع (١٦) كتاباً، أذكرها حسب تسلسل صدورها:

١ ـ الجامع بين الصحيحين.

٢ ـ تحقيق الجمع بين الصحيحين، للعلّامة الموصلي.

٣ ـ زوائد السنن على الصحيحين.

٤ ـ تحقيق وترتيب: مشـارق الأنوار علـى صحاح الآثار، للقاضي عياض.

٥ ـ ترتيب «الأدب المفرد» للإمام البخاري، حسب الموضوعات.

٦ ـ الوافي بما في الصحيحين.

٧ ـ زوائد الموطأ والمسند على الكتب الستة.

٨ ـ زوائد السنن الكبرى للبيهقي، على الكتب الستة.

٩ ـ زوائد ابن خزيمة وابن حبّان والمسـتدرك على الكتب التسعة.

١٠ ـ زوائد الأحاديث المختارة، للضياء المقدسي على الكتب التسعة.

١١ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل (محذوف الأسانيد والمكرر مرتب على الأبواب).

١٢ ـ الأحاديث النبويَّة الكلية (التي عليها مدار الأحكام).

١٣ ـ جامع الأصول التسعة (من السَّنَّة المطهَّرة).

١٤ ـ تقريب مسند الإمام أحمد.

١٥ ـ معالم السُّنَّة النبويَّة.

١٦ ـ الوجيز في السُّنَّة النَّبويَّة.

هذا ما يسَّر الله إنجازه في هذا المشروع المبارك، وفيه نوعان من الكتب:

١) كتب هي عبارة عن حلقات في سلسلة، تكوِّنُ بمجموعها موضوعاً واحداً، وسوف أتحدث عنها في فصلين:

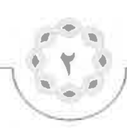
الأول: وفيه مجموعة الأصول التسعة.

الثاني: وفيه الحديث عن الكتب المكملة للكتب التسعة، وهو ما أطلقت عليه اسم «المصادر الخمسة».

٢) كتب مفردة يعالج كل واحد منها موضوعاً واحداً، وسوف يكون الحديث عنها في الفصل الثالث.

٣) وبما أنَّ السيرة جزء من السُّنَّة؛ فسوف أتحدث عن كتبها في الفصل الرابع.

* * *



الباعث والمنطلق

سألني أحد الإخوة الذين كنت ألتقي معهم على درس في «الفرائض» عن حديث..، فقلت: يغلب على ظني أنه ضعيف.

ولما عدت إلى البيت رجعت أبحث عن «الحديث» فإذا به في «الصحيحين». واتصلت بالأخ السائل وأبلغته أن الحديث في الصحيحين.

كان ذلك عام ١٤١٠هـ في مدينة «عرعر» في المملكة العربية السعودية، وعدّت إلى نفسي أسائلها عن سبب هذا الجهل الفاحش؟!

فأنا إنسان من خريجي كلية الشريعة في الجامعة السورية ـ كما كانت تُسمى يومئذٍ ـ ومن المتفوقين فيها ـ بحمد الله ـ وسبق لي أن عَملتُ مدرساً في سوريا لمدة عشرين عاماً، وعملت مدرساً في المملكة حتى يومئذٍ مدة عشر سنوات.

مع ذلك أجهل حديثاً في الصحيحين؟ إنه أمر غير معقول..

وظللت أياماً وأنا منشغل الفكر بهذا الأمر..

ولكنا في كلية الشريعة ـ وكذا كل كليات الشريعة ـ لم ندرس البخاري ولا مسلماً، وكل ما هنالك كنا ندرس نصوصاً من «سبل السلام» و«نيل الأوطار» وهي في جملتها

إنما تحسب على مادة الفِقه، أو الفِقه المقارن، وإن كانت في الأصل في مادة الحديث.

ولم يتح لي دراسة البخاري بعد ذلك، وإن كنت قرأتُ بعض مختصر الزبيدي..

وإني لا أخلي نفسي من المسؤولية وإن كانت هناك عوامل أخرى كثيرة تشارك في ذلك لستُ بصدد الحديث عنها.

وبعد أيام من انشغال الفكر بهذا الأمر تبادر لذهني أنه لا بدّ من كتاب يجمع بين الصحيحين يكون قريباً من الأيدي، مثله في ذلك مثل الأربعين النووية..

ولكن كيف نحصل على مثل هذا الكتاب؟

وأُخبرت بأن الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة تحقق مخطوطة لجامع بين الصحيحين، واتصلتُ هاتفياً بأحد هؤلاء المحققين، فأكد صحة الخبر، ولكنه قال: إن العمل متوقف هذا العام، لأن الجامعة لم ترصد له المال اللازم.

فرأيتُ أن انتظار خروج هذا العمل أمر غير مجد، وهو من ضياع الوقت.

فقررتُ أن أقوم بهذا العمل بنفسي فأحقق كتاباً في الموضوع، أو أجمعه.

وكانت إجازة الصيف قد حان وقتها، فسافرتُ إلى الرياض وعشت أياماً في مكتبة المخطوطات في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

ونظرتُ في عدد مــن المخطوطات، منهــا «الجمع بين الصحيحيــن» للحميــدي، وهــو المشــهور بيــن جوامــع الصحيحيــن، والجامع بين الصحيحين، لأبــي نعيم الحداد الأصبهاني، وجامع عبد الحق الإشــبيلي وجامع أبي حفص الموصلي، وجامع الصاغاتي.. وغيرها، مما ذكرته في مقدمة الجامع بين الصحيحين.

فلم أجد في هذه الجوامــع ما يلبي حاجة العصر، إذ كل مؤلف محفوف بأجواء الزمــن الذي يعيش فيه، فعزمتُ على القيام بهذا العمل مستعيناً بالله سبحانه وتعالى.

كانت الغاية مما عزمتُ عليــه، هي أن أضع بين يديّ ما أزيل به الجهل الذي أنا فيه.

* * *





الفصل الأول

مجموعة الأصول التسعة

أتحدث في هذا الفصل عن ثلاثة كتب جُمعت فيما بعد فكانت (جامع الأصول التسعة)





الجامع بين الصحيحين

وعدتُ إلى «عرعر» مع مطلع العام الدراسي عام ١٤١١هـ، وقد استقر في نفسي العزم على القيام بجمع الصحيحين، وبدأتُ في التفكير في إعداد ما ينبغي القيام به قبل مباشرة العمل.

لم يكن بين يديّ عملٌ في هذا الموضوع أستفيد من خطته ما يساعدني على بيان الخطوات التي ينبغي اتباعها. وكان عليّ أن أشق الطريق بنفسي..

ومرّت أيام وفكري مشغول في كيفية البدء، وفي ترتيب مراحل العمل، ثم توصلتُ إلى أن أول عمل ينبغي القيام به هو مخطط العمل.

وأقصد بذلك ترتيب الأبواب والفصول التي ستكون الأحاديث تحت عناوينها.

ورجعتُ إلى فهرس جامع الإمام البخاري فوجدتُه يحتوي (٩٧) كتاباً أو عنواناً رئيساً، ورجعتُ إلى صحيح الإمام مسلم فإذا به مرتب تحت (٥٤) كتاباً، وهي العناوين التي وضعها له الإمام النووي.

وبعد المقارنة بين فهرسي الكتابين وجدتُ أن أبواب صحيح مسلم لا تنضوي كلها تحت عناوين البخاري، الأمر الذي سيزيد عدد الأبواب على المائة لو تمّ الجمع بين الفهرسين.

ولو ذهبتُ إلى إثبات كل تلك الكتب:

- لظلت قضية الرجوع إلى الحديث في مظانه تستغرق وقتاً غير قصير من القارئ.
- ولظللنا تحت عناوين بعضها كلي وبعضها جزئي، الأمر الذي لا يعطي التصور الواضح عن هذه الشريعة وشمولها.

فكان لا بدّ من تقليص عدد العناوين..

ورجعتُ في سبيل ذلك إلى فهارس كتب السنن، وكتب الفِقه.. فلم أجد فيها ما أسعى إليه، فلم تكن هذه القضية لتشغل بالهم، وهي من قضايا الشكل التي لا تؤثر على المضمون..

وكان عليَّ أن أضع هيكل البحث أو عناوين المشروع الرئيسة..

وبعد جهدٍ وبحثٍ رأيتُ أن البحوث الرئيسة ترجع إلى عشرة، تنضوي تحتها فروعٌ وأقسام وهي:

١ - العقيدة.

٢ - العلم ومصادره.

٣ - العبادات، ويدخل تحتها: الذكر والدعاء، والأيمان والنذور، إضافة إلى الصلاة والزكاة والصوم والحج.

٤ ـ أحكام الأُسرة.

٥ ـ الحاجات الضرورية، الطعام والشراب، واللباس والمسكن.

٦ ـ المعاملات.

٧ ـ الإمامة وشؤون الحكم.

٨ ـ الرقائق والأخلاق والآداب.

٩ ـ التاريخ والسيرة.

١٠ ـ الفتن.

وأطلقتُ على هذه الأقسام اسم «المقاصد».

وكل مقصد ينقسم إلى «كتب».

وكل «كتاب» تحته «فصول».

وكل فصل تحته «أبواب» وهي العناوين المتعلقة بالأحاديث.

وبهذا الشكل أصبح المخطط العام للبحث شبه كامل، أجريتُ عليه بعض التعديلات أثناء العمل، وقد بلغ عدد الكتب والفصول ـ وهي التي تشكل الهيكل العام للكتاب المراد إعداده ـ قرابة (١٢٠) عنواناً فرعياً تعود إلى المقاصد العشرة التي سبق الحديث عنها.

* * *

وبعد إعداد الهيكل العام بدأ التفكير في كيفية القيام بالعمل، والحقيقة أنه لم يكن هناك من خيارات، ولم أجد

إلا طريقاً واحداً، وهو أن أبدأ بصحيـــح الإمام البخاري من أوله، حديثاً حديثــاً، وأن أجعل كل حديـــث على انفراد في جذاذة أو بطاقة، ثم أضع هذه البطاقة حسب موضوع حديثها في الملف الذي تتبع له.

وكنت قد أعددتُ عشرة ملفات رئيســة، وضمنها (١٢٠) ملفاً فرعياً ـ وهكذا استمر العمل.. حتى أصبح كتاب صحيح الإمام البخاري فــي بطاقات، ضمن الملفات المذكورة، وكل حديث معه رقمه الذي في «صحيح البخاري».

ثم بــدأتُ بصحيح الإمام مســلم بالطريقة نفســها ـ مع تمييز بطاقات مســلم عن بطاقات البخــاري ـ وهكذا أيضاً، حتى أصبح كتاب مسلم بطاقات في الملفات المذكورة، وكل حديث معه رقمه الذي في «صحيح مسلم».

وهكذا أصبحت الأحاديــث ذات الموضوع الواحد ـ من الكتابين ـ ضمن ملف واحد.

* * *

ثم بدأتُ بالملف الأول، حسب الهيكل المعدّ للكتاب، وهــو «كتاب الإســلام والإيمان» فــي المقصــد الأول وهو الاعتقاد.

فنشــرتُ بطاقات هذا الملف علــى أرض غرفة ـ فُرغتْ وأعدتْ لذلك ـ حتى تكون جميع هذه البطاقات تحت النظر.

وكانت الطريقة: أني أتناول بطاقة من البطاقات، فأنظر فيها، لتحديد اسم راوي الحديث، وليكن ـ على سبيل المثال ـ اسم الراوي (أنس بن مالك).

وعندها: أجمع كل البطاقات التي يكون فيها الراوي (أنس بن مالك) بحيث استوعب كل البطاقات التي على أرض الغرفة.

وبعدها: أنظر فيما تجمع لدي من هذه البطاقات، فقد تكون ترجع إلى حديث واحد، أو إلى حديثين أو أكثر.

وعندها: أميز بطاقات كل حديث منها على انفراد.

وهنا يأتي دور اختيار الرواية المراد اختيارها.

ـ فإن كان الحديث مما انفرد به الإمام البخاري، وكان ذا رواية واحدة، فلا خيار هنا، فيأخذ هذا الحديث دوره للتصنيف، وإن كان للحديث أكثر من رواية، فإني أقارن بين هذه الروايات وأختار أشملها إن كان يستوعب المعاني التي وردت في الروايات الأخرى، فإن لم يكن هناك رواية تستوعب الروايات الأخرى، فإني أختار أوسع الروايات وأشملها، وأضيف إليها رواية أخرى لما لم تستوعبه الرواية المختارة، وقد أضيف روايتين أو أكثر، بحيث تُستَوْعَبُ كل المعاني والأحكام الواردة في هذه الروايات.

ـ وإذا كان الحديث مما انفرد به الإمام مسلم فإني كذلك أفعل لاختيار الرواية أو الروايات كما سبق في الفقرة قبلها.

ـ وأما إذا كان الحديث مما اتفق عليه الشيخان، فلا بدّ أن يكون النص المختار من رواية البخاري.

ولذا فإني أقارن بين روايات البخاري وروايات مسلم، فإن وجدتُ بينها روايتين متطابقتين أو شبه متطابقتين، بحيث يكون الاختلاف يسيراً لا يؤثر في اختلاف المعنى، فإني أثبت رواية البخاري.

ثم أفتش بعد ذلك في روايات البخاري ثم في روايات مسلم إن كان ثمة زيادة فإني أثبتها.

وإن لم يكن هناك تطابق بين روايتي البخاري ومسلم فإني أثبت الرواية الأعم من روايات البخاري، ثم أشير إلى النقص أو الزيادة في رواية مسلم، وقد أسجل بعض الأحيان نص مسلم كاملاً إذا كان الأمر يستدعي ذلك، ثم أفتش في بقية الروايات إذا كان هناك من زيادة تستحق الإثبات.

وهكذا يستمر العمل حتى يتم النظر في جميع بطاقات الملف.

* * *

وبهذا يكون كل حديث قد أخذ وضعه النهائي، وهنا يأتي دور اختيار «العناوين» التي هي «الأبواب» ضمن الفصول. فأختار لكل حديث عنواناً، وقد يكون العنوان لحديثين أو لمجموعة من الأحاديث إذا كانت ذات موضوع واحد.

وبعد ذلك تُرَتَّبُ هذه «الأبواب» حسب أولويتها تمهيداً لعملية التسجيل.

وبهذا يكون الفصل الأول من المشروع قد انتهى إعداده، بانتظار المرحلة الأخيرة في تسجيل هذه النصوص في شكلها النهائي حسب ترتيب أبوابها، ولكنها تبقى في بطاقاتها لاحتمال إضافة حديث أو رواية تكون قد جاءت سهواً في ملف آخر.

* * *

وهكذا جرى العمل على هذه الشاكلة حتى استكملت جميع الملفات.

وهنا أريد أن أشير إلى أمرين ساعدا في إنجاز العمل:

الأول: أن العلّامة محمد فؤاد عبد الباقي قام بترقيم أحاديث الإمام البخاري، ومن المعلوم أن الإمام البخاري يقطِّع الحديث الواحد حسب الأحكام الواردة فيه، فقد يتوزع الحديث الواحد في خمسة مواطن أو أكثر وقد تكون هذه المواطن متباعدة عن بعضها، فكان من خطة عبد الباقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه يذكر عقب نص الحديث عندما يرد في الكتاب لأول مرة، يذكر أرقام رواياته الأخرى أو ما يسمى أطراف الحديث الأخرى، بحيث إذا أراد القارئ جمع الحديث أمكنه ذلك.

وقد ساعدني هذا الأمر كثيراً في جميع روايات الحديث مع بعضها.

وأما الإمام مسلم فإنه يذكر روايات الحديث الواحد في مكان واحد إلا في أحاديث قليلة.

الثاني: أنه ـ عبد الباقي ـ جمع في كتاب «اللؤلؤ والمرجان» الأحاديث المتفق عليها بين البخاري ومسلم، مما ساعد في الوقوف على هذه الأحاديث.

أقول: إن هذا الكتاب ساعد في الدلالة على بعض الأحاديث المتفق عليها، وهو لا يذكر زيادات البخاري أو مسلم على النص المتفق عليها.

* * *

وأما العناوين المختارة للأبواب، فهي في معظمها من وضعي، وكم كنت أتمنى لو استطعتُ وضع عناوين البخاري، ولكن لم أستطع ذلك لأنه يقسّم الحديث الواحد، وتتعدد العناوين له بحسب فِقه كل فقرة، والمشروع الذي قمتُ به قائم على جمع الحديث في مكان واحد.

وأما عناوين «صحيح مسلم» فهي من وضع الإمام النووي، وهي تقريبية، وليست دقيقة، وكم من حديث وُجد تحت عنوان لا يمت إليه بصلة، لأن العناوين كانت إجمالية.

ومع ذلك فحيث أمكن وضع عناوين البخاري أو مسلم، فقد فعلتُ ذلك.

* * *

وأما المعلقات في كتاب البخاري، فآثرتُ أن أضعها في الحاشية تحت العناوين المناسبة لها.

وأما الأحاديث الواردة في مقدمة مسلم، فقد أبقيتها في المتن، كما فعل فؤاد عبد الباقي ولكني ذكرت عند ذكر رقمها أنها في «المقدمة» علماً بأنه قد أخرجها الإمام البخاري.

* * *

وأما الأحاديث التي تحمل أكثر من موضوع، فإني أذكرها في الموضع الذي سيقت من أجله، أو الموضوع الرئيس، ثم أحيل على هذا الحديث بذكر رقمه تحت عنوان الموضوعات الأخرى ذات الصلة، تخلصاً من تكرار النصوص فأقول في آخر الباب: وانظر في الموضوع الحديث رقم... وهو الرقم المسلسل للحديث.

* * *

هذه هي الخطة التي سرتُ عليها في جمع هذا الكتاب..

وبعد انتهاء ما سبق ذكره من العمل عدتُ إلى الملفات، لأسجل النصوص مع عناوين أبوابها المختارة، وكان عليّ أن أقوم بأمرين:

الأول: ترتيب الأبواب حسب أولويتها ضمن كل فصل.

الثاني: ترتيب الأحاديث تحت عنوان الباب الواحد،

بحيث تكون الأحاديث المتفق عليها في أول الباب، وبعدها الأحاديث التي انفرد بها البخــاري، ثم الأحاديث التي انفرد بها مسلم.

* * *

وقد بذلتُ جهدي في شــرح الكلمــات التي تحتاج إلى شرح، ووضعتُ ذلك في الحاشــية، وتم الكتاب بحمد الله، وبعثتُ به إلى دار النشر.

وبدأ جهد آخر في التصحيح.. فقد صُحح الكتاب ثلاث مرات وذلك بســبب التشــكيل، ومع ذلك ربما بقيت بعض الأخطاء..

وطُبع الكتاب.. ووُزع على المكتبات.

كانت حركته في السوق بطيئة.. على الرغم من الموضوع الذي يحمله، فليس هناك كتاب آخر في هذا الموضوع.. ونزل أول كتاب في الموضوع بعد أربع سنوات وهو كتاب «الجمع بين الصحيحين» للحميدي بتحقيــق الدكتور «البواب» وبعد أشــهر من صدور «الحميدي» صدر «الجمع بين الصحيحين» لعبد الحق الإشبيلي بعناية الأستاذ حمد الغماس.

كانت حركة الكتاب بطيئة، وسبب ذلك واضح، فالمؤلف «مجهول» يطرح اســمه لأول مرة في هذا الميدان، ومما زاد الطين بِلّة، أن هذا «المجهول» يقفــز مرة واحدة ليقدّم جمعاً بين الصحيحين. وهو عمل كبير.

أقول من حق القارئ أن يتوقف، وأن لا يسارع إلى شراء كتاب لا يعرف هوية جامعه، وإذا كان هذا شـأن عامة القرّاء، فإن بعضهم لم ينظر إلى المؤلف، وإنما نظر إلى «المؤلَّف».

فقد أهدى الدكتور تيسير داود رحمه الله نسخة من الكتاب إلى صديق له مدرّس في الجامعة، واختصاصه في مادة «الحديث» وبعد أيام قال له: ما كنت أظن أن عملاً مثل هذا يمكن عمله.

وكتـب الدكتور عائـض القرني ـ ولم تكـن بيني وبينه معرفة أو لقاء يومئذٍ ـ: «عندي كتاب (الجامع بين الصحيحين لصالح أحمد الشامي، وهذا الكتاب هو مرجعي بعد القرآن، وكنت أتمنى أن أجد كتاباً بهذه الصفة، فالحمد لله حصل هذا الكتـاب، فهو صحيح كلـه، لأنه جمع (صحيـح البخاري) و(مسلم)، ثم إنه رتبه ترتيباً سـهلاً ميسراً، وعلّق عليه تعليقاً خفيفاً، وأضاف في الحاشـية المعلقات فـي البخاري، فأتى كتاباً يشرح الصدور، ويريح البال، فمن حفظه فقد حفظ علماً نافعاً مباركاً، وحسبك به».

واتصل بي بعض طلاب العلم.. يثنون على الكتاب.

وحمدتُ الله أن وَجَدَ الكتاب من يقدِّره حقَّ قدره.

كما حمدتُ الله تعالى على أمريـن تم إنجازهما في هذا العمل:

الأول: مـا هدانـي الله إليه فـي ترتيب أبـواب الكتاب وموضوعاته، وهو عمل جديد لم أسبق إليه.

والثاني: الطريقة التي تـمَّ بها جمع الكتاب، وهي طريقة استوعبت كل أحاديث الكتابين حيث تم المرور على أحاديثهما حديثاً حديثاً.

هذا ما يسَّر الله كتابته بشأن «الجامع بين الصحيحين» وقد تجاوزتُ ذكر كثير من العوائق التي كانت تستوقفني اليوم واليومين.. ثم ييسر الله تعالى حلَّها.

* * *

وأختم حديثي عن هذا الكتاب بشكر الأخ الكريم الاستاذ محمد علي دولة صاحب دار القلم رحمه الله تعالى[1]، وولده الأستاذ عماد الدين، على ما بذلا من جهد في إخراج الكتاب بالشكل الذي يتناسب مع مكانته، فجزاهما الله خيراً وأجزل ثوابهما.

* * *

هذا وقد أعيد طبع الكتاب، وتعدُّ الطبعة الثانية هي المعتمدة، بسبب ما أضيف إليها من روايات وتعليقات، وكذلك ما تمَّ من تصحيح الأخطاء.

* * *

(١) توفاه الله ﷻ في ليلة الجمعة ٢٩ـ١ـ٢٠١٦م، تغمده الله بواسع رحمته.



زوائد السنن على الصحيحين

على الرغم من بطء حركة كتاب «الجامع بين الصحيحين» فإن طلاب العلم الذين اقتنوه واستطلعوا بعض ما فيه، عرفوا كم وفّر عليهم من الوقت في الرجوع إلى أحاديث الصحيحين..

فبدأ بعضهم يتصل بي عن طريق الدار الناشرة طالباً جمع «السنن» على الطريقة نفسها، ثم تكررت هذه الاتصالات..

وكُتُب السنن أربعة، هي:

١ ـ سنن الإمام أبي داود.

٢ ـ جامع الإمام الترمذي.

٣ ـ سنن الإمام النسائي.

٤ ـ سنن الإمام ابن ماجه.

وهي مع «الصحيحين» تشكل ما أطلق عليه «الكتب الستة» وهي الكتب التي قدّمها العلماء على غيرها من كتب السُّنَّة.

قال العلّامة الكتابي في «الرسالة المستطرفة»، «فمنها ـ أي كتب الحديث ـ ما ينبغي لطالب الحديث أن يبدأ به، وهو أمهات الكتب الحديثية وأطولها وأشهرها، وهي ستة..» وذكرها.

هذا ما جرى عليه جمهور العلماء.

وقال قوم من الحفّاظ، منهم «ابن الصلاح، والنووي، وصلاح الدين العلائي، والحافظ ابن حجر»: لو جعل مسند الدارمي سادسًا كان أولى.

أي بدلاً من سنن ابن ماجه، فكان من المستحسن ضمّها إلى الكتب الأربعة، ويكون الجمع للكتب الخمسة.

* * *

وبعد التفكير.. أحببتُ استطلاع ساحة العمل، فوضعتُ هذه الكتب الخمسة أمامي وبدأتُ أتفحصها.. رغبة في قياس همتي وقدرتها على القيام بالعمل المطلوب.. وصاحبَ ذلك التفكير في الطريقة التي يمكن فيها إنجاز العمل..

وبعد أيام قليلة وجدتني منشرح الصدر للقيام بالعمل، بعد أن تكوَّنت لديَّ الفكرة عن الطريقة التي يمكن سلوكها للوصول إلى الغاية، فالموضوع هنا جمع خمسة كتب..

وقد أدّى الاستطلاع المذكور إلى المعطيات التالية:

١ ـ إن هذه الكتب بجملتها كتب «سنن» فهي كتب أحاديث الأحكام، باستثناء جامع الإمام الترمذي، الذي جاء على طريقة الجوامع.

٢ ـ تميَّز كتاب «ابن ماجه» بمقدمة جمعت (٢٦٦) حديثاً، ذكر فيها: تعظيم السُّنَّة، والتغليظ في الكذب على رسول الله ﷺ، وفيها الحديث عن الإيمان والقدر، ثم

ذكر فضائل بعض الصحابة، ثم أحاديث تتعلق بالخوارج، ثم أحاديث فضل العلم..

٣ ـ وكذلك فعل الدارمي في سُننه، حيث قدّم له بمقدمة جمعت (٦٤٩) حديثاً، ذكر فيها بعض صفات النبي ﷺ، وبعض معجزاته، وأبواباً في العلم..

وإزاء هذا الوضع توصلت إلى الخطة التالية لجمع أحاديث هذه الكتب:

١) اعتماد المخطط الذي جرى عليه الجمع في كتاب «الجامع بين الصحيحين» كما هو حتى في مفرداته الفرعية، أي الأبواب التي تحت الفصول.

والإبقاء على الملفات التي استعملت في «الجامع بين الصحيحين».

٢) اعتماد «سنن أبي داود» كأساس في الجمع.

فالسنن كلها متشابهة في تبويبها، فرأيتُ اعتماد كتاب «أبي داود» والسير وفقاً لأبوابه ابتداءً من باب «الطهارة».

٣) إرجاء مقدمتي «ابن ماجه» و«الدارمي» والبحوث الزائدة عند الترمذي على ما جاء في السنن إلى ما بعد الانتهاء من العمل وفقاً «لأبي داود».

هذا مجمل الخطة التي وضعتْ للعمل.

أما كيفية العمل: فهي أني آخذ الحديث، وليكن الحديث الأول عند أبي داود، في كتاب الطهارة:

- فتح الكتب الخمسة على كتاب الطهارة.
- النظر في راوي الحديث، وراوي الحديث الأول عند أبي داود هو «المغيرة بن شعبة».
- فإذا وجدتُ في السنن حديثاً يرويه «المغيرة بن شعبة» فإني أنظر فيه، هل هو الحديث نفسه الذي عند أبي داود، أو غيره، فإن كان هو الحديث نفسه فإني أقارن نصّه عند أبي داود مع نصّه عند غيره، فإن وافقه فذلك خير، وإلا فإني أسجل الزيادة أو النقصان، ثم أذكر أرقام الحديث عند الكتب التي وجد فيها، وذلك في نهاية الحديث.

وبعد الانتهاء أضع بطاقة الحديث في ملف «الطهارة».

ولبيان ذلك عملاً أذكر الحديث الأول عند أبي داود.

قال أبو داود:

عن المغيرة بن شعبة: أن النبي ﷺ كان إذا ذهب المذهب أبعد.

[د/ ١/ ت٢٠/ ن١٧/ جه٣٣١/ مي ٦٦٠، ٦٦١].

- ولفظ الدارمي: إذا ذهب إلى الحاجة، وفي رواية: إذا تبرز.
- وعند الترمذي: كنت مع النبي ﷺ في سفر فأتى حاجته فأبعد المذهب.
- زاد النسائي: قال: فذهب لحاجته، وهو في بعض أسفاره فقال: (ائتني بوضوء) فأتيته بوضوء، فتوضأ ومسح على الخفين. انتهى.

وهكذا **بعـد التفتيش عن الحديث**، تبيّـن أنه مروي في الكتب الخمســة، فتمَّ وضع نص الحديــث كما هو عند أبي داود، وذكرت تحتــه أرقام الحديث فــي كل كتاب بعد ذكر رمزه.

وبما أن الكتب ليســت متفقة على النص جميعها كان لا بدّ من ذكر الزيادات.

وبما أن رواية النســائي قد ذكرت «**المسح على الخفين**» فإنهــا توضع بطاقة فــي الملــف لتذكِّر بالإحالــة على هذا الحديث في باب المسح على الخفين.

وبهــذه الطريقة يكــون الحديث قد أخذ شــكله الأخير فتوضع بطاقته في ملفه، ويشــطب على أرقــام الحديث في الكتب الخمسة إشارة إلى أنه قد نُقل.

* * *

وهكذا تتابع العمل فــي كتاب الطهارة حديثًــا حديثاً.. وكذا بقية الأبواب، إلى أن انتهى العمل من «سنن أبي داود».

وعندها عدتُ إلى الزيادات في جامع الترمذي بالطريقة نفسها، وكذا في مقدمتي «ابن ماجه» و«الدارمي» وقد تمّ حل كل المشكلات التي طرأت أثناء العمل.

ولما انتهى العمل، أصبحت الكتب الخمسة في الملفات.

* * *

إن أحاديـث الكتـب الخمسـة كثيـر منها مخـرّج في الصحيحين أو أحدهما، وفي إعادة تسـجيله، ضياع للوقت، وتطويل للكتاب. فرأيت أن أقتصر على ذكر الأحاديث الزائدة عمّا في الصحيحين، وهي التي لم تخـرّج في «الجامع بين الصحيحين».

إنَّ ما تمَّ جمعه كان للكتب الخمسـة، وبيان ما جاء منها في «الصحيحين» يوفر لنا معلومة مهمة، وهي أن نتعرف على أحاديـث الصحيحين التـي خرّجها أصحاب السـنن، وهي معلومة ليس من السـهل الحصول عليهـا، وهي متوفرة بين أيدينا، فلا يحسن بنا أن نضيعها.

وبعد التفكير في الأمر، يسّـر الله لي الطريقة التي تجمع بين الأمرين.

وبدأت العمـل، في الباب الأول ـ فـي مقصد العقيدة ـ وعنوانه:

١ ـ باب: أركان الإسلام والإيمان.

فوجدت بين يـدي سـبعة أحاديث فيما تـمّ جمعه من «السـنن» في هذا البـاب فقارنت بين هـذه الأحاديث وبين الأحاديث الموجودة في كتاب «الجامع بين الصحيحين» في هـذا الباب. وبعد المقارنـة وجدت حديثين من السـبعة قد خرّجا فـي «الجامع» الأول عن ابن عمـر، والثاني عن أنس فبدأت التسجيل بالشكل التالي:

١ ـ باب: أركان الإسلام والإيمان

[١ ـ ق] ابن عمر [ت: ٢٦٠٩/ن: ٥٠١٦]

[٢ ـ م] أنس [ت: ٦١٩/ن: ٢٠٩٠/مي: ٦٥٠]

١ ـ (ن جه) عن معاوية القشيري قال: قلت: يا نبي الله.. الحديث [ن ٢٤٣٥، ٢٥٦٧/جه ٢٥٣٦]

وإيضاح ذلك:

في السطر الأول: (١) هذا رقم الحديث في الجامع بين الصحيحين، و(ق) تعني أنه متفق عليه، و(ابن عمر) هو راوي الحديث، و[ت ٢٦٠٩] تعني أن حديث ابن عمر الذي في الصحيحين موجود عن الترمذي برقم (٢٦٠٩)، و[ن ٥٠١٦] تعني أن الحديث عند النسائي بهذا الرقم.

وبهذا علمنا أن حديث ابن عمر المتفق عليه قد أخرجه الترمذي وكذلك النسائي، وفي السطر الثاني

(٢) هو رقم الحديث في الجامع، و(أنس) هو راوي الحديث، و[ت ٦١٩] هو رقم الحديث عند الترمذي، و[ن ٢٠٩٠] هو رقمه عند النسائي، و(مي ٦٥٠) هو رقمه عند الدارمي.

وفي السطر الثالث بدأ ذكر أول حديث من الأحاديث الزائدة على ما في الصحيحين و(ن جه) رمز إلى أنه مخرّج عند النسائي وابن ماجه. وفي آخر الحديث بيان لرقم الحديث عند النسائي وابن ماجه.

* * *

فالخط العام ذكر أحاديث الصحيحين في أول كل باب بأرقامها وبيان هل هي متفق عليها أو من رواية البخاري أو مسلم، ثم ذكر راوي الحديث، ثم ذكر من خرّجه من الكتب الخمسة، بذكر رموزها وأرقامها.

وإذا لم يكن الحديث الذي في الصحيحين قد خرّجه أحد من أصحاب الكتب الخمسة، فإني أذكره ـ مع ذلك ـ برقمه واسم راويه، دون ذكر شيء، إشارة إلى أن هذا الحديث لم يُذكر في السنن.

وإذا كان في الحديث المخرج في السنن زيادة على الحديث في الصحيحين، فإني أذكر هذه الزيادة. والمثال على ذلك ما جاء في (٤٨/١):

[٥٤ـق] ابن عباس [مي ٢٧٨٦].

- زاد الدارمي في أوله (إن ربكم رحيم..)

وبهذا المعنى فإن كتاب «زوائد السُّنن» يحتوي على أحاديث الصحيحين جميعها، وكامل الكتب الخمسة.

أما ما كان من الكتب الخمسة مخرّج في الصحيحين أو أحدهما فإنه مذكور برقمه، وأما ما لم يكن مخرّجاً فيهما أو في أحدهما، فهو «الزائد» وهو مذكور بنصّه.

* * *

وهذه الطريقة وضعت بين الأيـــدي كل المعلومات التي يطلبها الباحث.

- فأحاديث الكتب الخمسة مذكورة بكاملها.

فما كان مشتركاً مع الصحيحين فهو مذكور بأرقامه.

وما لم يكن كذلك، فهو «الزوائد على الصحيحين» وهي مذكورة بنصّها.

- وأحاديث «الجامع بيـــن الصحيحين» مذكورة بكاملها بأرقامها، في أوائـــل الأبواب بحيث لو أراد باحث أن يرجع إلى حديث الصحيحين، ليعرف من خرّجه من أصحاب السنن، لسهل عليه ذلك، وإذا كان الحديث لم يخرجه أحد من أصحاب السنن، عرف ذلك، بعدم ذكر أرقام أو رموز أمامه.

إنه عمـــل جديد في جمـــع الزوائد، فيه مـــن التوثيق ما يجعل القارئ مطمئناً إلى سلامة العمل. فكل حديث موجود إما رقماً وإما نصّاً.

* * *



زوائد الموطأ والمسند على الكتب الستة

راودتني فكرة استخراج زوائد الموطأ والمسند على الكتب الستة، وذلك لاستكمال الكتب التسعة.

ولكن قصة وقعت لي بشأن طباعة كتاب «مشارق الأنوار» الذي كنت حققته وأعدتُ ترتيبه ـ مما سيأتي بيانه ـ جعلتني لا أقدم على عمل حتى أجد الدار التي سوف تنشره.. ومرّت الأيام..

وجاءني الأخ الكريم الأستاذ باسل الفوزان وقال: إن كتاب «الجامع بين الصحيحين» كتاب مفيد لعامة طلاب العلم، وهناك «مؤسسة الراجحي الخيرية» تطبع الكتب المفيدة وتوزعها مجاناً، فلو قدّمت لهم نسخة من الجامع لعلهم يقومون بطباعتها وتوزيعها.

واشتريتُ نسخة من الكتاب، وصحبتُ هذا الأخ مساء أحد الأيام إلى مركز هذه المؤسسة، حيث التقيتُ بالمسؤول فيها..، وقدمتُ له الكتاب، وجرى الحديث حول كتب السُّنَّة، وكان فيما تحدثت فيه فكرة استخراج «زوائد الموطأ والمسند على الكتب الستة» وذكرت له أني متوقف عن البدء بهذا المشروع حتى أجد الدار التي تتعهد طباعته.

فتشجع للمشـــروع وسألني كم ســيكون حجم الكتاب؟ قلت أتوقع أن يكون في ثلاثة مجلدات، فقال: الأمر يســير، فنحن نقــوم بطباعته، فهو كتاب صغير ونحــن نطبع الكتب ذات العشر مجلدات وأكثر.. وشجعني على البدء بالعمل.

وخرجتُ منشرح الصدر.. وباشرتُ بالعمل.

* * *

ومن المعروف أن المسند للإمام أحمد كتاب كبير، وهو مرتب على المســانيد، فأحاديث كل صحابي تُذكر في مكان واحد بغض النظر عن موضوعاتها.

وبعد التفكير في كيفية القيام بالعمل والطريقة التي ينبغي اتباعها..

رأيتُ أن أعتمد كتاب «زوائد السنن» أساساً، وقد سبق أن الكتاب يحتوي على «الجامع بيــن الصحيحين» بذكر أرقام أحاديثه ورواتها، ويحتوي على أحاديث الكتب الخمسة وهذا يعني أن الكتاب يحتوي على الكتب الســبعة، الكتب الستة إضافة إلى أحاديث الدارمي.

وكانت الخطة بالشكل التالي:

أن آخذ المجلد الأول من المسند ـ طبعة الرسالة ـ وبين يديَّ «الجامع بين الصحيحين» وكتاب زوائد الســنن، وبين يديَّ الملفات التي كنت اســتعملتها في الكتابين الســابقين وبدأتُ بالمجلد الأول حديثاً حديثاً..

فأنظرُ في الحديث، وأحدِّدُ موضوعه، ثم أفتح كتاب الجامع وكتاب الزوائد على ذلك الموضوع.

١) فإن وجدتُ الحديث في كتاب «الجامع بين الصحيحين» قارنت بين رواية المسند، ورواية الجامع، فإن طابقتها فذاك، وإن كان هناك زيادة أو نقصان فإني أذكر ذلك.

وذلك بذكر رقم حديث المسند مع الملاحظات ـ إن وجدت ـ على الهامش الأيمن أو الأيسر من كتاب «الزوائد» عند ذكر رقم حديث الجامع بين الصحيحين.

٢) وإن لم أجد الحديث في الجامع ووجدته في أحاديث زوائد السنن، فإني أذكر رقم حديث المسند على الهامش إلى جانب حديث الزوائد، وبعد المقارنة بين النصّين أذكر إلى جانب رقم المسند الملاحظات إن وجدت.

٣) وإن لم أجد الحديث في «الجامع» ولا في «زوائد السنن» فهذا يعني أن الحديث من زوائد المسند على الكتب السبعة، فإني أسجله في بطاقة، وأضعه في ملف الموضوع الذي ينتمي إليه ذلك الحديث.

وهكذا، وبعد إنتهاء العمل، أصبحت حاشية كتاب «زوائد السنن» مكاناً لذكر أرقام أحاديث المسند المخرّجة في الصحيحين، أو في السنن، مع ذكر الملاحظات المتعلقة بها.

وما لم يكن مذكوراً فيها فهو من «زوائد المسند» فإنه قد أخذ مكانه في الملفات.

وقد استغرق ذلك وقتاً طويلاً، وصبراً على العمل، فالمسند تقارب أحاديثه (٢٨) ألفًا، وكل حديث خضع لهذه العملية

* * *

ومما يحسن ذكره: أن المحققين للمسند في طبعة الرسالة، قد ذكروا في الحاشية:

- أرقام الحديث عندما يتكرر.
- كما أشاروا إلى من خرّج الحديث من الصحيحين أو السنن..

وقد ساعد ذلك كثيراً في الاستفادة من الوقت، كما ساعد على المقارنة بين نصوص الحديث الواحد لاختيار النصّ الأشمل.

ولم يكن هذا الأمر مستمراً أو مستوعباً، فهناك أحاديث لم تخرّج وأحاديث لم تذكر مكرراتها.

وهذا لا يؤثر في سير العمل لأن هذا سيكتَشَف من خلال سير العمل وفقاً لخطة العمل السابق ذكرها.

* * *

وبعد انتهاء المسند، سرتُ في «الموطأ» بالطريقة نفسها.

* * *

وهكذا تـمَّ العمل، وأصبح الكتابان «الموطأ والمسند» جاهزين على هوامش كتاب «الزوائد»، وفي الملفات.

وجاء دور المرحلة الأخيرة وهي تسجيل الكتاب في شكله النهائي، وذلك بعد ترتيب «الأبواب» ضمن كل فصل من الفصول.

ففي كل باب من الأبواب يذكر:

١ ـ الأحاديث التي انفرد بها المسند، وهي زوائد المسند على الكتب السبعة.

٢ ـ الأحاديث التي انفرد بها الموطأ، وهي زوائد الموطأ على الكتب السبعة.

٣ ـ الأحاديث التي خرّجت من المسند والموطأ في الصحيحين أو أحدهما، وذلك بذكر أرقامها.

٤ ـ الأحاديث التي خرّجت من الموطأ والمسند في السنن، وذلك بذكر أرقامها.

وهذان النوعان قد أخذا من حاشية السنن وبهذا أصبح الكتاب جاهزاً ليُدفع به إلى الطباعة.

* * *

واتصلتُ بالأستاذ باسل الذي رافقني إلى مؤسسة الراجحي، وأخبرته بانتهاء جمع الكتاب وطلبتُ منه موعداً للذهاب لتقديم الكتاب إلى المؤسسة.

وبعد أيام جاءني ليخبرني أن المؤسسة تطلب تزكية اثنين من العلماء للكتاب حتى يتمّ طبعه.

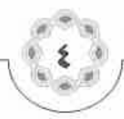
وقد فوجئتُ بهذا الطلب، وقلت له: لن أستجدي أحداً بتزكية، ولم أطلب من أحد من قبل أن يقدِّم لي كتاباً، فإن الكتاب الذي لا يقف على قدميه بقوته الذاتية ـ بعد توفيق الله تعالى ـ لا يستحق أن يكون عملاً يقدَّم للناس.

ويسَّر الله بعد ذلك أن قامت دار «كنوز إشبيليا» في الرياض بطباعته مشكورة.

* * *

أقول: ومن فضل الله عليَّ أن وفقني لإخراج كتاب «زوائد السنن» بالشكل الذي خرج فيه، حيث ذكر كامل أحاديث الصحيحين بأرقامها، فقد ساعد ذلك بشكلٍ كبير في إنجاز العمل في «زوائد المسند» وكان هذا وغيره من تيسير الله تعالى لإخراج هذا العمل. وإنما فعلت ذلك لتوثيق العمل، ولم يدر بخلدي أنه ستكون له هذه الفائدة.

* * *



جامع الأصول التسعة

أحمد الله تعالى أن يسر ـ بعونه ـ إخراج الكتب الثلاثة، التي سبق الحديث عنها، فهي تجمع كتباً تسعة تعدّ أهمّ كتب السُّنَّة المطهَّرة.

وبظهور الكتاب الثالث منها وجدتني مطمئن النفس مرتاح البال، حيث أصبح من الميسر لكل طالب علم يريد مراجعة بحث، أن يعيِّن مكان الرجوع إليه في هذه الكتب ثم يفتح هذه الكتب الثلاثة على الفصل المطلوب، فيجد حاجته، وذلك في يسرٍ وسهولة، لأن هذه الكتب قد رُتبت على نسقٍ واحد.

وانصرفتُ بعد ذلك إلى متابعة العمل في أهمِّ الكتب الأخرى، وهي التي تلي «الكتب التسعة» من حيث المكانة العلمية، فعملت على استخراج زوائد «السنن الكبرى» ثم زوائد «ابن خزيمة وابن حبَّان والمستدرك» ثم «الأحاديث المختارة»..

وخلال هذا الوقت غير القصير، كنت أفكر في جمع الكتب التسعة في كتاب، تسهيلاً على طلبة العلم، ثم أدفع هذه الفكرة بأن الكتب الثلاثة المكوّنة للتسعة متوفرة، ومن السهل على الباحث طلب ما يريد.

واستمر ترددي في الأمر، حتى زارني أخ فاضل من أهل الاختصاص والعلم.. ومن جملة ما تطرق إليه الحديث.. التفكير في جمع الكتب الثلاثة المكونة للكتب التسعة..

فحثني على القيام بهذا العمل دون تأخير، وكان مما قاله: إن هذا العمل ربما سطا عليه أحدهم وقام به وأخرجه باسمه.. وإذا حدث هذا فلن يكون بالإتقان والمواصفات التي ستقوم بها أنت.. وعندها سنكون أمام أمرين: سرقة العمل، وسوء إخراجه..

وهنا تبادر لذهني الاعتداءات والسرقات التي تعرض لها بعض ما يسر الله لي إنتاجه من أعمال، فاعتدي على «سلسلة الظاهرة الجمالية» أكثر من مرة، واعتدي على بعض بحوث في السيرة، واعتدي على «الجامع بين الصحيحين» وعلى التقسيمات والعناوين التي وضعتها لكتاب «المواهب اللدنية»..

والحمد لله، فإنما يعتدى على الأشياء الثمينة.

إن كلام الأخ الكريم دفعني إلى المبادرة للقيام بهذا العمل.

وكان أمامي خياران، أن أجمع الكتب التسعة، أو أجمع الكتب الأربعة عشر التي تم استخراج زوائدها، والتي سبق ذكرها قبل قليل.

وبعد تفكير في الأمر رأيتُ الاقتصار على الكتب التسعة لأمرين:

الأول: تقدمي في السن وضعف الهمة في مقابل كبر حجم العمل لو جمعتُ كل ما تم إنجازه، وخوفي أن يوافيني الأجل قبل إنجاز العمل فيضيع كل ما بذل من جهد، فكم من كتب لم يتمها مؤلفوها فضاعت..

الثاني: أن الكتب التسعة، هي التي قدمها علماء الأُمة على غيرها، ورأوا فيها ما يغني عن غيرها، بل إنهم رأوا في الكتب الستة الكفاية لطالب العلم.. وعلى هذا ففي الكتب التسعة ما يغني عن غيرها.

وباشرتُ العمل..

كيف تمّ جمع الكتب التسعة:

سبق القول بأن الكتب المكوّنة للكتب التسعة هي ثلاثة:

١ ـ الجامع بين الصحيحين.

٢ ـ زوائد السنن على الصحيحين (وهي خمس سنن كما سبق شرح ذلك).

٣ ـ زوائد الموطأ والمسند على الكتب السبعة.

وبجمع المادة الموجودة في هذه الكتب نحصل على ما حوته الكتب التسعة من أحاديث وآثار ومعلقات وغير ذلك.

وسبق القول بأن هذه الكتب ذات ترتيب واحد من حيث الأبواب والفصول والكتب والمقاصد.

وبدأت العمل بأن وضعت بين يـــدي الجزء الأول من كل كتاب من الكتب الثلاثـــة وفتحت على الباب الأول في هذه الكتب.

• وكانت الخطوة الأولى هي تسجيل الحديث الأول من «الجامـــع بين الصحيحيـــن» ثم النظر في رقـــم الحديث في كتاب «زوائد السنن»، للنظر هل من زوائد على الحديث في «الســـنن» فإن هناك زيادة أو زيادات نقلـــت ووضعت تحت الحديث، ثم النظر بعـــد ذلك في رقم الحديـــث في «زوائد الموطأ والمسند» للنظر إذا كان هناك زيادة على الحديث في المسند والموطأ. فإن وجدت نقلت ووضعت تحت الحديث بعد ملاحظات زوائد السنن إن وجدت.

وهكذا أصبـــح الحديـــث الأول من الصحيحيـــن مدوناً وتحته الزوائد عليه في «الســـنن» ثم الزوائد عليه في «الموطأ والمســـند» وبهذا تمَّ جمع كل المادة المتعلقة بهذا الحديث في الكتب الثلاثة.

وهكذا يســـتمر العمـــل فـــي أحاديث البـــاب الأول في «الصحيحين».

• ثم أنتقـــل إلى كتـــاب «زوائد الســـنن» فأنقل الحديث الأول من البـــاب الأول فـــي «زوائد الســـنن» فأضعه تحت أحاديث الصحيحين، ثم أنظر في رقمـــه المذكور في «زوائد الموطأ» هل عليه من زيادة في الموطأ والمسند، فإن وجدت زيادة نقلتها ووضعتها تحت الحديث ويستمر العمل هكذا في جميع أحاديث الباب الأول من «زوائد السنن».

• فإذا انتهيت انتقلت إلى الباب الأول من كتاب «زوائد الموطأ والمسند» فانقل أحاديثه وأضعها تحت أحاديث السنن.

وبهذا يستكمل «الباب الأول» في جامع الأصول التسعة وأصبح ترتيبه كما يلي:

ـ أحاديث الصحيحين، وتحت كل حديث الزيادات عليه من «السنن» و«الموطأ والمسند».

ـ وأحاديث السنن، وتحت كل حديث منها الزيادات عليه من «الموطأ والمسند».

ـ أحاديث الموطأ والمسند.

لم يكن في العمل مشقة، ولكنه كان يحتاج إلى صبر وأناة، فمعظم الأحاديث تشتمل على روايات زائدة على الرواية «الأصل» المختارة، فترتيب هذه الزيادات وتنسيقها والمقارنة بينها لحذف بعض ما تكرر، كان يحتاج إلى الوقت.

فالعمل مراجعة كاملة لكل حديث على انفراد..

وتمَّ العمل ـ بحمد الله ـ وخرج الكتاب في (١٤) مجلداً، يتناسب ظاهره وحسن إخراجه مع نفاسة ما يحويه، فكان التوافق بين الشكل والمضمون، والحمد لله.

ومن المهم أن أذكر أن تصحيح هذا الكتاب استغرق وقتاً غير قليل، وتكرر لكل جزء أكثر من مرة، بذلتُ جهدي في

أن يكون نظيفاً، ولعلي بلغتُ بعض ما أريد، ولكن كل عمل يظل عرضة للخطأ، فتلك طبيعة عمل البشر.

وأخيراً:

فإن كتاب «زوائد السنن على الصحيحين» وكتاب «زوائد الموطأ والمسند على الكتب الستة» قد أصبحا ضمن كتاب «جامع الأصول التسعة» وهو يغني عنهما.

* * *

حمد وشكر لله تعالى:

وبعد: فإن هذا الكتاب كان خلاصة جهود كبيرة، استغرقت أياماً كثيرة، ولولا أن يسَّر الله تعالى الخطا، بحيث كانت كل خطوة تكمل ما سبقها في الاتجاه الصحيح، لما كان هذا الكتاب.

وما كنت أقدِّر أو أفكر عندما رتبت هذه الكتب الثلاثة ـ المكونة لهذا الكتاب ـ أن هذا الترتيب سيساعدني في إخراجه، وإنما كان ترتيبي لها بقصد التوثيق، فصادف أن كان عاملاً مساعداً ـ بل أصيلاً ـ في الجمع، فلله الفضل والمنّة سبحانه وتعالى، وله الحمد والشكر على ما أنعم وتفضل.

* * *

كلمة شكر:

وهنا أرى من الواجب أن أتقدم بالشكر إلى الأستاذ بلال الشاويش القائم على إدارة «المكتب الإسلامي» على ما بذل من جهد في سبيل إخراج الكتاب بالشكل الذي ظهر به، والذي يتناسب مع مكانته.

* * *

ثمرات الكتاب:

وأما الثمرات التي يقدمها هذا الكتاب لطالب العلم فكثيرة، أذكر ثلاثاً منها:

الأولى: أنه يوفر الوقت، ولبيان ذلك أقول: بلغت أحاديث الكتاب (١٦٦٤٦) وعدد أحاديث الكتب التسعة (٦٧٤٥٣)، والرقم الأول أقل من ربع الرقم الثاني، وهذا يعني أنه يوفر على الطالب أكثر من ٧٥٪ من الوقت لو أراد الرجوع إلى أحاديث الأصل. أي أنه يوفر عليه قرابة ٨٠٪ من الوقت.

والثانية: أنه يوفر عليه الجهد، فهو عندما يريد تحضير بحث ما، يرجع إلى كتاب واحد، ولو أراد الرجوع إلى الأصل، فعليه أن يرجع إلى تسعة كتب، يرفع مجلداً ويضع آخر.. وبعودته إلى كتاب واحد يكون قد وفّر على نفسه $\frac{٨}{٩}$ من الجهد، أي أكثر من ٨٠٪.

والثالثة: أنه يوفر على نفسه مقارنة النصوص بعضها مع بعض، وحذف المكرر، ومعرفة الزيادة إن وجدت..

إنها ثمرات يانعة يقدمها هذا الكتاب، يقدرها حق قدرها الباحثون.

* * *

كلمة فضيلة الدكتور ذياب الغامدي

كان الكتاب قد انتشر ذكره على وسائل التواصل قبل أن يصدر، وكثيرة كثيرة هي الهواتف التي جاءتني تسألني عن موعد صدوره..

ولما وصل الكتاب إلى المكتبات، جاءتني اتصالات كثيرة من مدن المملكة ومن خارجها تهنئ بصدور الكتاب وتثني عليه خيراً.

وبعد أيام قليلة اتصل بي من مكة المكرمة فضيلة الأخ الأستاذ عبد الله العوبل، قائلاً: هل قرأت المقال عن كتابك «الجامع» قلت: وأي مقال تقصد؟ فقال: ارجع إلى المقال الذي كتبه فضيلة الدكتور ذياب الغامدي ونشره على موقع «ملتقى أهل الحديث».

وهو جواب على سؤال تلقاه من بعض طلاب العلم عن كتاب «جامع الأصول التسعة».

وأرى أنه من المستحسن أن أضع هذا المقال أمام القارئ وأترك تعليقي عليه ليكون في آخره تعقيباً عليه:

قال فضيلة الدكتور ذياب الغامدي:

بسم الله الرحمن الرحيم

فقد سألني كثير من طلاب العلم ولا سيّما المتخصِّصين بكتب الحديث قراءة وتدريساً وحفظاً... عن الكتاب الموسوعي الذي أصدره الشيخ: صالح بن أحمد الدُّومي الشامي، تحت عنوان: «جامع الأصول التسعة»، وما له، وما عليه.

قلت: وعليه؛ فهذه بعض الإضاءات حول كتاب الشيخ الشامي، بشيءٍ من الاختصار، والله الموفّق.

لا شكّ أنّ الشيخ الشامي حفظه الله: هو ربيب بيوتات العلم المشهورة في بلاد الشّام، وأباه أحد شيوخ المذهب الحنبلي في عصره ومصره لذا؛ فليس بغريب أن يكون هذا الشيخ من أصحاب السُّنَّة والأثر، اقتداء بإمام أهل السُّنَّة والجماعة أحمد بن حنبل، إمام كل حنبليّ.

هذا وإذا علم الجميع أن الشيخ صالحاً الشامي قد أصدر مجموعة من الكتب الحديثيّة، التي يمثّل غالبها زوائد كتب السُّنَّة، ابتداءً بكتابه: «الجامع بين الصحيحين»، ومروراً بكتاب «زوائد الموطأ والمسند»، و«زوائد ابن خزيمة وابن حبّان والمستدرك»، و«زوائد السنن الكبرى للبيهقي»، و«زوائد الأحاديث المختارة للضياء المقدسي»، وانتهاءً بكتاب «جامع الأصول التسعة».

ومن نظر في مجاميع كتب الشيخ الشامي، وفي تصاريف مُعَنْونَاتِها: علم أنّه أحد أعلام العصر الذين رفعوا أعلام «فَنِّ الزَّوَائِدِ» الذي كاد أن يندثر، إلّا في بقايا من غُبَّارَاتِ بعض المشتغلين بالسُّنَّة من أهل عصرنا.

فعندها رفرفت أعلام السُّنَّة بما صنعه الشامي من خلال مَعْلَمَةٍ كبيرةٍ ومَشْرَعَةٍ مباركةٍ، تحت عنوان: «جامع الأصول التسعة»، أي: جامع أحاديث كتب السُّنَّة التسعة التي تعتبر عند علماء الإسلام: أصولاً للسُّنَّة، ومرجعاً للأمّة وهي: الصَّحيحان (البخاري ومسلم)، والسُّنَنُ الأربع (الترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه)، وموطأ مالك، ومسند الإمام أحمد، وسنن الدارمي.

* * *

ومن هنا؛ فإنّي أحببت أن أُذَكِّرَ إخواني طلاب العلم بشيء من الخصائص والمميزات التي أخذت بمجاميع كتاب: «جامع الأصول التسعة»، وذلك من خلال إضاءات مختصرة، وإشارات معتصرة، ولا سيّما أنّني قد قلّبت كثيراً من صفحاته، ووقفت على مجموع حواشيه، وعارضت غالب مجلّداته، وتصفّحت معظم فهارسه، فمن ذلك باختصار:

أوّلاً: أنَّ هذا الكتاب يعتبر واحداً من أجمع كتب السُّنَّة المطبوعة في هذا الوقت؛ لكونه جمع أصول كتب السُّنَّة دون خلاف بين أهل السُّنَّة، وهي: الصَّحيحان، والسُّنن الأربع، والموطأ، والمسند، وسنن الدارمي.

ثانياً: أنّه نظم كتابه من خلال ترتيب بديع يتماشى مع مناهج أصحاب «السُّنن الأربع» في ترتيب أبوابهم؛ خلافاً لطريقة أصحاب المسانيد، والمعاجم ونحوها وهذا في حدّ ذاته من اليُسْرِ والتَّقْرِيْبِ والترتيب الذي يعرفه أهل العلم عامّة، وأصحاب الحديث خاصّة، كما هو سَائِرٌ في مناهجهم قديماً وحديثاً.

ولولا ذا؛ لأصبح كتاب «المُسْنَدِ المُصَنَّفِ المُعَلَّلِ» الذي ألَّفه المحقق الكبير بشّار عوّاد وجماعة: آية من آيات مصنّفات أهل العلم قديماً وحديثاً دون منازع، فعساهم يرتِّبونه على طريقة كتب أهل السُّنن في طبعته الجديدة، والله الموفِّق للصواب.

وذلك في الوقت الذي لم تزل تتنادى فيه بعض المشاريع الجامعة لكتب السُّنَّة يوماً بعد يوم، وللوعود عهود، ونحن بالانتظار.

ثالثاً: أنّه قرّب أحاديث الكتب التسعة تقريباً لا مثيل له؛ حيث أنه لم يتجاوز شيئاً من أحاديث الكتب التسعة إلّا وضَمَّنَهُ كتابه، سواء كانت أحاديث مرفوعة، أو معلقات، وهذا الجهد الكبير، والجمع الوفير؛ ممّا يقطع بتقدّم كتاب الشامي على كتاب «جامع الأصول» لابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لأمور ليس هذا محلّ ذكرها، فمنها باختصار:

١) أنّ ابن الأثير رحمه الله لم يعتمد أصول الصحيحين (البخاري ومسلم)، بل اعتمد على «الجمع بين الصحيحين»

للحميدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهذا الصنيع فيه ما فيه، هذا إذا علم الجميع أنّ كتاب الحميدي لم يقتصر على جمع أحاديث الصحيحين فقط، بل كتابه يعدُّ واحداً من كتب المستخرجات على الصحيحين في الجملة.

٢) أنّه لم يُضمِّنْ «سنن ابن ماجه» في جامعه، وإن كان هذا ضرباً من الاجتهاد؛ إلّا أنّه محلُّ نظر وانتقاد عند بعض أهل العلم الكبار.

٣) إنّه لم يعتمد على أصل «الموطأ»، بل اعتمد على جمع ابن رزين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وهذا ما يدلُّنا على وجود خلل ظاهر على «جامع» ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لا يسعها هذا المقال.

رابعاً: أنّه حذف أسانيد الأحاديث إلّا ما توقّفت عليه الفائدة، سواء كانت في متنه أو سنده، ممّا يعرفه أهل العلم وما ذا الحذف؛ إلّا أنّ الشامي أراد بكتابه أن يكون مقرِّباً لمجموع أحاديث الكتب التسعة بين يدي عامّة المسلمين؛ لأنّ البحث والتّنقيب عن الأسانيد لهُوَ من شأن الخاصّة، ممّن لهم عناية بالصِّناعة الحديثيّة، الشيء الذي لم يقصده الشامي في كتابه هذا؛ فتأمّل.

خامساً: أنّه لم يكتف بحذف مكرّرات الأحاديث دون ذكر لها، بل ذكرها تحت أرقام دالّة لمظانها؛ قد أحاطت بكلّ حديثٍ مكرّرٍ وهذا الصّنيع يعتبر: اختصاراً دقيقاً لا يحسنه إلّا

من وفَّقه الله؛ حيث أنّه جمع بين طريقة الحذف وطريقة الجمع، فلا هو محذوفٌ معنًى ولا هو مذكورٌ مبنًى، بل كلّ حديث مكرّر جاء مُقَيَّداً تحت رقم دالٍّ على موضعه وموطنه في كتاب: «جامع الأصول التسعة».

سادساً: أنّه لم يكتف بسرد الأحاديث دون بيانٍ لغريبها، وذكر لبعض فوائدها، ممّا قد يَسْتَغْلِقُ فهمها على كثيرٍ من المسلمين؛ حيث دبَّجَ كثيراً منها بكلام أهل العلم المعتبرين، لا سيّما البغوي، والنووي، وابن حجر، وغيرهم.

سابعاً: أنّه لم يتجاوز كثيراً من مسائل العقيدة إلّا وقد مسّها بشيء من التوضيح والبيان ممّا هو جار على منهج أهل السُّنَّة والجماعة وفوق ذلك أنّه: ذكر ضابطاً عزيزاً في التّعامل مع كلّ أحاديث الأسماء والصفات؛ حيث قال حفظ الله معلّقاً على حديث (١٠٣) (١/١١٠):

قاعدة أهل السُّنَّة والجماعة في باب الأسماء والصّفات، كما يلي:

«أنّهم في باب الإثبات: يثبتون ما أثبته الله تعالى لنفسه ممّا جاء في الكتاب والسُّنَّة الصحيحة على الوجه اللّائق به من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

وأنّهم في باب النفي: ينفون ما نفاه الله تعالى عن نفسه في الكتاب والسُّنَّة مع إثبات كمال ضدّها لأنّ النّفي المحض عدم، والعدم ليس شيئاً؛ فضلاً أن يكون كمالاً وعليه؛ فإنّهم

إذا نفوا عن الله تعالـــى مثلاً: العجز أثبتوا له كمال القوة، وإذا نفوا عنه السِّـــنَة والنَّوم أثبتوا له كمال القيّوميّة، وإذا نفوا عنه الولد أثبتوا له كمـــال الوحدانيّة، وهكذا، وعلى هذه القاعدة: فقد أجمع أهل السُّنَّة والجماعة سلفاً وخلفاً» انتهى.

وهذا الضابط الذي ذكره الشـــيخ: لم يدع لأهل الأهواء والبدع باباً يَلِجُوْنَ إليه، أو مَلْجَأً يتطَرَّقُوْنَ من خلاله إلى إثارة قَالاتِهِم أو تسويق مقالاتهم، فجزاه الله عن السُّنَّة وأهلها خير الجزاء.

وانظر ما قاله معلّقاً تحت الأحاديث الآتية: (٥٨٨)، و(٨٣٧)، و(٤٥٩٦)، و(٤٨٢٢)، و(٨٢٣٧)، و(١٠٣٤٤)، و(١٤٤٦٦)، وهذا الحديث الأخير يتعلّق بمسألة «صورة الرّحمن»، وهو من أحاديث أهل السُّـــنَّة والجماعة التي تميّزوا بها عن غيرهم من أهل الأهواء والبدع، وعليه فقد حصحص الشيخ الشامي في هذا الحديث الحق الذي عليه منهج أهل السُّنَّة والجماعة، فجزاه الله خيراً.

ثامناً: أنّه لم يكتف بســـرد الأحاديث دون بيان لحكمها صحة وضعفاً، ردّاً وقبولاً، ممّا هو خـــارج عن الصّحيحين، مستأنساً بأحكام من ســـبقه من أهل العلم، لا سيّما ما ذكره محدِّث العصـــر الألباني رَحِمَهُ اللهُ، وما ذكره أصحاب «مؤسســـة الرِّسالة» في تحقيقهم لـ«المســـند»، وعبد القادر الأرناؤوط، وحسين الدّاراني رحمهما الله تعالى، وغيرهم من المحقّقين، وهذا في حدّ ذاته، يعتبر من مهمّات فنون التّأليف، ومن درر جماليّات كتب السُّنَّة، فجزاه الله خيراً.

وبهذا، يكون الشيخ الشامي قد قرّب لعموم المسلمين: أحكام أحاديث «الجامع» في الجملة، أمّا من أعطاه الله بصيرة في منازعة الأحاديث النبويّة من خلال محاكمتها ردّاً وقبولاً؛ جرحاً وتعديلاً؛ فله أن يركن إلى صناعته الحديثيّة، وأمّا من كان دون ذلك فيسعهم تقليد أهل الشأن من جهابذة الحديث من المتقدّمين والمتأخّرين، لا سيما ممن قلدهم الشيخ الشامي في كتابه هذا، استناداً لقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].

تاسعاً: أنّه اعتمد في كتابه: «جامع الأصول التسعة» على طبعات معتمدة في الجملة، ممّا مضى عليها النّاس قديماً؛ لا سيّما أهل العلم المعتبرين، دون الوقوف كثيراً مع الطبعات الجديدة إلّا ما سيأتي ذكره إن شاء الله.

ولم يكن إغفال الشيخ الشامي عن جديد الطبعات رغبةً عنها، كلّا بل لعلمه السابق: أنّ مسألة تحقيقات كتب السُّنَّة لا تقف عند طبعة دون أخرى، أو رجل دون غيره، فهي من مسارح الخلاف الذي لا ينتهي غالباً إلى حدٍّ يوضحه؛ أنّ محقّقي «كتب السُّنَّة» من أهل زماننا: لم يرض كثيرٌ منهم صنيع الآخر، بل حسبك أنَّ «صحيح البخاري» على جلالته وعظيم موقعه: لم يقع موقع الرِّضا عند كثير من أرباب التحقيق من أهل زماننا، بل لم تزل دعاوي كثير من المحقّقين: تلاحق الآخرين بالتّهديد والوعيد، وآية ذلك؛ أنَّك لا تفرح بكتابٍ قد حقّقه صاحبه تحقيقاً علميّاً؛ إلّا وسرعان

من يأتي مـن المحقّقين مـن ينقض غزله، ولو بشـيء من الاسـتدراكات اليسـيرة التي لا يسـلم منها كتاب فضلاً عن تحقيق، سوى القرآن.

وإن كنّا جميعاً لا نقلّل قدراً من أهمية تحقيق كتب السُّنَّة وغيرها؛ لأنَّ التحقيق العلميّ يعتبر إحياءً للكتب بعد مواتها؛ لكنّنا في الوقت نفسه نعيب على من يحمل النّاس على طبعة دون أخرى؛ لا سـيّما إذا كانت تِلْكُمُ الطّبعـة التي اعتمدها صاحبها: مشـهورةً متداولةً، وقـد قُرِأَتْ على أهـل العلم، وتناقلوها دون نكير.

لذا؛ فاعتماد الشـيخ الشامي على شـيء من مطبوعات كتب السُّنَّة ممّا هو مقروء على أهل العلم، ومشهورٌ بينهم: لا تثريب فيه، علماً أنَّ الشيخ حفظه الله لم يغفل هذا الباب، بل تراه قد عارض بعض كتب السُّنَّة المطبوعة قديماً بمطبوعاتها الحديثة: كالمسند، وسنن الدّارمي، وشيء من سنن الترمذي في ملحقاته، وغيرها.

ومن لطائف ما ذكره الشـيخ عنـد معارضته لمطبوعات «المسند»: وقوفه على فائدةٍ عزيزةٍ بها: قطعت جهيزة قول كل خطيب، بل إخالها كشفت لنا كثيراً من دعاوي محقّقي العصر إلّا ما رحم ربّك، وهو ما ذكره بعد دراسـته للأحاديث التي اسـتدركتها طبعة «دار المنهاج» على «مؤسسـة الرسالة» في أكثر من مائة حديث: بأنّها من مكرّرات «المسـند»؛ باستثناء سـبعة أحاديث، أَرْبَعَةٌ منها انفرد بها الإمام أحمد عن الكتب

الثمانية (وقد ذكر أرقامها)، ثمّ قال بعدها: وقد تمَّ وضع هذه الأحاديث وفقاً لموضوعاتها في هذا الكتاب، وأمّا الثلاثة الأخرى (وقد ذكر أرقامها)، فالأوّل والثاني أخرجهما البخاري، والثالث أخرجه الدارمي، وهذه لطيفة تحسب للشيخ الشامي حفظه الله.

قلت: ليت القائمين على تحقيق «المسند» في «دار المنهاج» قيّدوا هذه الأحاديث الثمانية أو المائة، ودفعوها لإخوانهم في «مؤسسة الرّسالة» كي يستدركوها في طبعتهم الجديدة ليس إلّا، أو ليتهم نشروها بين أيدي إخوانهم طلاب العلم، والسلام ختام.

وقال الشيخ أيضاً عن طبعة «سنن الدارمي»: أنّه اعتمد أوّلاً على تحقيق فوّاز زمرلي وخالد السبع، ثمّ قارنها أيضاً على تحقيق مصطفى البغا، ثمّ لم يكتف بذلك؛ حيث قال: ثمّ صدرت مؤخّراً طبعة بتحقيق الأستاذ حسين الدّاراني، وقد قارن الأحاديث التي انفرد بها الدّارمي عن الكتب الثمانية، وعدَّل أرقامها، ليس إلّا.

كما أنّنا مع هذا التّنبيه عن مسرح تحقيق الطبعات؛ لا نثني عزيمة الشيخ الشامي حفظه الله في طبعته الثانية لكتابه: «جامع الأصول التسعة»: بأن يعارض ويراجع مصادره على مطبوعاتها الجديدة المحقّقة تحقيقاً علمياً؛ ولا سيّما ما حقّقته مؤسسة الرّسالة: للصّحيحين، والسّنن الأربع، وكذا ما حقّقته «دار التّأصيل»، وغيرهما.

عاشـــراً: أنّــه طــوى مقدمــة كتابــه علــى درر حديثيّة وإحصائيّات رقميّة لم يســبق إليها فيما أعلــم: ما بين تعداد لأحاديث الكتب التســعة، وبيان مكرّراتهــا، وتمييز زوائدها ممّا يســتملحها أرباب النظر ويحار أمامهــا روّاد الفكر؛ فلله درّه، وعلى الله أجره.

الحادي عشــر: أنّه ختم كتابه بفهــارس جامعةٍ مفيدةٍ قد أتت علــى جميــع دلالات أحاديــث الكتب التســعة: لفظاً ومعنًى، فجزاه الله خيراً!

الثاني عشــر: أنّ كتابه «جامع الأصول التسعة»: قد خرج في أربعة عشر مجلّداً، والأخير منها: عبارة عن فهارس شاملة علميّة، كما مرّ معنا، كمــا أنّه طبع طبعة جميلة متدثّرة بثوب قشيب، وحلّة بهيّة، وقد تولى كلّ ذلك: «المكتب الإسلامي»، فجزى الله القائمين عليها خير الجزاء.

الثالــث عشــر: أنّ الجميع يعلــم يقينــاً أنّ مثل هذا المشــروع الكبير، والعمل العظيم الذي يضــمّ بين دفّتيه: جمع وترتيــب وتحقيق أحاديث الكتب التّســعة؛ لهو من الأعمــال التي لا يقواهــا، ولا يطيقهــا إلّا كوكبة من أهل الحديث المتخصّصين.

لكنّ العجب لا يقف عند هذا؛ بل يتعدّاه إذا علم الجميع أنّ هذا العمل الكبير: قد قام به الشــيخ الشــامي حفظه الله؛ بمفرده دون معين إلّا من الله تعالى؛ حيث كان يعمل فيه ليلاً ونهاراً، دون ملالٍ ولا كلالٍ، وذلك في الوقت الذي قد قارب

عمر الشيخ: الثّمانين عامّاً، وهو مع هذا قد كلَّت قواه، ورقّ عظمه؛ فأين نحن من أولئك وهؤلاء.

إنّه لعمل كبير، لا يعرفه إلّا من عرف حقيقة جمع أحاديث السُّنَّة تحت أبواب متفرّقات، وتحرير زوائدها تحت مكرّرات... إنّه لعمل كبير، لا يدلّ إلّا على صبرٍ وجلادٍ، وبحثٍ ونظرٍ، وسبرٍ وتفتيشٍ، في غير ذلك من الاعْتِمَالِ في الصّناعة الحديثيّة، والتّراتيب العلميّة في تراجم الأبواب والفصول؛ الأمر الذي يقطع بعلوٍّ كعب صاحبه، ورسوخ علمه، ولا نزكّي الشيخ على الله؛ بل الله حسيبه ومولاه!

* * *

ومن نواقض الأقوال بعد ذكرها، ومن تراجع الأفكار بعد رسوخها، ما كنت أقوله مراراً في مجالسي العلميّة: لقد انتهى علم الزّوائد عند أبي الحسن الهيثميّ رحمه الله، المتوفّى سنة (٨٠٧هـ)، وإنْ راجعت نفسي وراغمتها، قلت: كلُّ من جاء بعده فهم عيال عليه.. نعم؛ كنت أقولها مدوِّية في مجالسي حتّى شاء الله تعالى أن أوقفني على مَعْلَمةٍ لا نظير لها في علم الزوائد متمثّلةً في كتاب: «جامع الأصول التسعة» للشيخ صالح الشامي، فعندها تيقّنت مجدّداً: بأنّ الأمّة ولّادة، والخير باقٍ.

نعم؛ كم قلت أنا وغيري: ليت فلاناً اعتنى في جمعه

بتحرير فنّ الزوائـد، وفلاناً ليته اعتنـى بالصّناعة الحديثيّة، وفلاناً ليته أحسـن في فقـه أبوابه... وهكذا فـي تمنّياتٍ لا يجمعها كتابٌ بين دفّتيه؛ حتـى إذا وقف المحدّث الأريب، والفقيه اللّبيب على «جامع الأصول التسعة» للشامي، استذكر المثل السائر: كلُّ الصّيد في جوف الفرا.

* * *

كما أنّني هنا؛ لست شاعراً غاوٍ، ولا ناثراً هاوٍ؛ بل أجدني طالب علم، قد خاض كثيـراً من أمّات كتب الحديث والآثار ما يحملني على شـيء من الحكم والاحتكام؛ لذا؛ كان من الواجب أن أقول: للمحسن أحسنت، لا سيّما والزّمان بخيلٌ بمثله، والعلم قد سـكن فـي غير محلّه عند كثيـر من أبناء زماننا.

كلّ ذلك: تَظَلُّماً وتَأَلُّماً لما تركته آثار أكثر أقلام كثير من أهل زماننا، مع مـا تقذفه بعض الأطروحـات الجامعيّة من اجترارٍ وتكـرارٍ، فكانوا ما بين محتـرفٍ للقصّ واللّصق، أو مجترئٍ على البتـر والنّقص، أو متشـبّع بالتّطوال والملال، وهكذا حتى نبتت بيننا مَعْلَمَـةٌ مُتَعَالِمَةٌ بزَبَدٍ مِنَ المُغَالَطَاتِ، والتَّفَقُّهَاتِ الشـاذّة، وَيْكَأَنَّ القَوْمَ مُلَّاكُ التّعصّب باسم تقديم الدّليل، أو أخـدان الظّاهرية باسـم تعظيم الأثـر والتّعليل، زعموا! أو غير ذلـك ممّا يعرفه أهل الفـنّ عند تعاملهم مع فنون العلـم عند تحقيق مسـائله، وتدقيق مباحثـه، وتحرير

ترجيحاته، ممّا يعرفه أهل العلم الرّبّانيين؛ لأنّ كثيراً من كتب المتأخِّرين لا تزيد المسألة إلّا خلافاً واختلافاً، فغالب أصحابها مغرم بالتّفريعات والتّشقيقات والتّخريجات والافتراضات؛ ممّا قد يطول البحث والسّعي في غير عائد، والله أعلم.

ومن وراءهم طلاب تعالم ليس عندهم إلّا هَمَزَاتٌ جَهْلَاءُ: بأنواعٍ من دعاوي التّثبيط والتّهوين، مع ما عندهم من إملاءاتٍ ونصائح يحسبها الظّمأن ماءً، وما هي إلّا سراب بقيعةٍ قد ألبسوها: ثياباً من زخرف القول، وضعف العزيمة، وقلّة العلم.

وهل كان تصنيفُ: «جامع الأصول» لابن الأثير؛ لأهل زمانه؟، وهل كتاب: «مجمع الزوائد» للهيثميّ؛ لطلّاب أوانه؟ وهل كتاب: «المطالب العليّة»، وكتاب «إتحاف المهرة» لابن حجرٍ، وكذا كتاب «تحفة الأشراف» للمزِّي، هل كان كلّه حبيس أقرانه؟ كلّا فمثل هذه الكتب وغيرها من المشاريع الحديثيّة العلميّة الكبيرة: لم تزل للأمّة وديعةً وأمانةً؛ في حين ما زالت الأمّة تحوطها بالحفظ والصَّون والدُّعاء... وستبقى معلمةً حديثيّةً، في غيرها من كتب الحديث المطوّلة؛ وقيمة كلّ امرئٍ ما يحسن (لا ما يريد!)، وما كان لله بقي!

وأخيراً؛ أسأل الله تعالى أن يكتب لي وللشيخ

الشـــامي: الإخلاص في القول والعمـــل، وأن يوفِّقنا لما يحبّه ويرضـــاه، وأن يرزقنا الخاتمة الحســـنة والحمد لله ربّ العالميـــن، والصّلاة والسّـــلام على عبده ورســـوله الأمين.

كتبه

ذياب بن سعد آل حمدان الغامديّ

حُرِّر في صباح يوم الجمعة

الموافق (٢٥/٣/١٤٣٦هـ)

الطائف المأنوس

أقول:

جـــزى الله الدكتـــور الغامدي خيـــراً على هـــذه الإجابة الكريمة:

١) فقد بيَّن فيها بعـــض مزايا الكتاب، كما أشـــار إلى مقدار الجهد المبذول في إعداده، فجزاه الله خيراً وأحســـن إليه.

٢) وأما ما جاء ضمن المقال من ثناء على الشيخ الشامي، فأرجو الله أن يجازيه خيراً على حسن ظنه بأخيه.

وأما بالنســـبة لي فقد تعلمت من والدي رحمه الله تعالى أن أضع نفسي في المكان الذي أعرفه منها، لا بالمكان الذي يقال عنها.

وأنا أعرف من نفسي أني طالب علم، ليس أكثر، وأرجو الله أن يعفو عني ويسترني بستره الجميل.

وقد تحدثت في مقدمة هذه الرسالة عن جهلي الذي دفعني إلى العمل الجاد، لإزالة بعض ما أنا فيه، أو التخفيف منه.

* * *



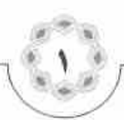
الفصل الثاني

المصادر الخمسة
المكملة للأصول التسعة

في هذا الفصل أتحدث عن ثلاثة كتب ـ جمعت زوائد خمسة من كتب السنة ـ تمَّ إنجازها، وهي جزء من مشروع تقريب السُنَّة.

ويمكـــن لكل باحـــث أن يضـــمَّ ما فيهـــا إلى الأصول التســـعة، عند إعداده لبحث ما، إذ جميعها جاءت وفق ترتيب واحد.

وهذه الكتب الخمسة هي أهمّ مصادر السنة بعد الكتب التسعة.



زوائد السنن الكبرى للبيهقي على الكتب الستة

كنت في صلاة العصر في المسجد الذي أسكن بجانبه، وبعد انتهاء الصلاة تقدّم إليَّ شاب فسلَّمَ بأدب جمّ.. وسرنا إلى البيت معاً ـ وكان مما تحدّث به أنه كان في زيارة لفضيلة الدكتور عبد الكريم خضير ـ وهو من علماء الحديث الذين لهم دروس عامة بذلك ـ وكان مما جرى الحديث بينهم، أن الدكتور عبد الكريم قال: لو أن كتاب البيهقي أُسْتخرجت زوائده على الكتب الستة لكان في ذلك خير كثير.

وقال الزائر: إني أعرف أنك اشتغلت «بالزوائد» فأحببتُ أن أنقل لك قول الدكتور عبد الكريم، لعلك تقوم بهذا العمل.

ووعدته خيراً، وقلت: إني في عمل فإذا انتهيتُ منه لعلي أفكر في الموضوع، وكان هذا الزائر هو الدكتور يوسف الحوشان.

وفكرتُ بعد ذهابه أن أعرض فكرة القيام بهذا العمل على أحد الإخوة من طلاب العلم، وتم ذلك، ورحب الأخ بالفكرة.. وعندها أعطيته فكرة عامة عن طريقة العمل، وذهب عازماً على المباشرة بالعمل..

وكنت أتابع الأخ بالاتصال بـه بالهاتف.. وكان يطمئنني أنه عامل به.. وفي اتصال به بعد شـهرين، فاجأنـي بقوله: بأنه ترك العمل.. لأن هذا العمل يحتاج إلى الجلوس الطويل أمام الطاولة، وأنه في هذه المدة لم ينتج إلا القليل.. واعتذر عن متابعة العمل.

ومرّت الأيام.. وانتهى العمل الذي كان بين يديْ وعزمتُ على تحقيق رغبة الدكتور عبد الكريم.

وكتاب «السـنن الكبرى للبيهقي» كتاب كبير، قريب في حجمه من مسـند الإمام أحمد، فهو يقع في عشرة مجلدات كبار حسـب الطبعة الهنديـة، وكذلك في طبعـة دار الكتب العلمية في بيروت، وأضافت هذه الطبعـة مجلداً للفهارس، وبلغ عدد الأحاديث فيها (٢١٨١٢).

وكان لا بـدَّ من تصفح عام للكتاب للتعـرف على ما فيه، وعلـى طريقة عرضـه للموضوعـات، ومعرفة البحـوث التي تناولها، وذلك لإعداد خطة العمل.. وتم ذلك بحمد الله.

هذا ومن المستحسـن أن أذكر وصفاً مختصراً للكتاب، وذكر ما قيل فيه:

قال الإمام السبكي: أما «السنن الكبير» للحافظ البيهقي، فما صنف في علم الحديث مثله تهذيباً وترتيباً وجودة.

وقال الإمام السخاوي: كتاب «السـنن للحافظ البيهقي» اسـتوعب أكثر أحاديث الأحـكام، لا نعلم ـ كمـا قال ابن الصلاح ـ في بابه مثله.

تلك بعض أقوال العلماء التي تبيّن مكانة الكتاب.

والكتـــاب وإن كان يحمل عنوان: «الســـنن الكبرى» فهو ـ في الحقيقة ـ ليس كتاباً من كتب السُّنَّة بالمعنى التقليدي، فهو لا يشبه كتاب «سنن أبي داود»، أو «جامع الترمذي»، أو غيرهما من كتب السنن.

وإنما هو كتاب امتزج فيه «الفِقه» بـ «الحديث» فهو كتاب في «أدلَّه الأحكام» فمعظم الأحاديث تســـاق للاستدلال على حكم فقهي.

وكان لفِقـــه الإمام الشـــافعي النصيب الأوفـــى من تلك المناقشات والاستدلال للأحكام التي أخذ بها.

والمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ له في كثير من الأحيان الوقفات الطويلة لمناقشة الأسانيد أو رجال الإسناد، أو رجلاً في سند ما.

وهو يسوق الأحاديث بأسانيدها، وقد يكون السند قبل النَّصّ كما هو المعتاد في كتب الحديث، وقد يأتي به بعد النصّ..

وقد يكون للنَّص أكثر من ســـند، فيأتي به بين إســـنادين أحدهما قبله والآخر بعده...

وقد بلغت أحاديـــث «الصحيحين» التي خرَّجها في كتابه (٧٧٩٧) كما ذكر ذلك الدكتور نجم خلف.

والمؤلـــف عندما يذكـــر حديثـــاً فـــي «الصحيحين» أو أحدهما، يشـــير إلى ذلك بعـــد الحديث أو قبلـــه في بعض الأحيان، ولا يفعل ذلك بالنسبة إلى بقية الكتب إلا نادراً.

وهو لا يبخل علينا في الحكم على «النَّص» غالباً.. فيقول هذا سند صحيح، وهذا الحديث مرسل، وهذا مقطوع، وهذا موقوف.. وهذا لا يصح، وهذا تالف بالمرة وهكذا.

ويبيِّن لنا الإمام البيهقي طريقته في اختبار الأحاديث واعتماده على الصحيح دون الضعيف فيقول:

«وعادتي في كتبي المصنَّفة في الأصول والفروع الاقتصار من الأخبار على ما يصح منها دون ما لا يصح، أو التمييز بين ما يصح منها وما لا يصح»[١].

ولم يقتصر الكتاب على أحاديث الأحكام كما هو الشأن في كتب السنن ، بل حاول المؤلف أن يجعله من الكتب «الجوامع» التي تذكر كل أنواع الأحاديث، كما هو الشأن في جامع الإمام البخاري.

ولذا فقد أدخل كثيراً من الأحاديث في غير أبوابها لأدنى مناسبة ومن أمثلة ذلك:

أنه وضع كثيراً من أحاديث خصائص الرسول ﷺ وشمائله في أول كتاب النِّكاح، وذلك أنه ﷺ كانت له بعض الخصائص بشأن النِّكاح.

- وفي أبواب الحضانة أدخل أحاديث البرِّ والصِّلة.
- وفي كتاب أدب القاضي أدخل أحاديث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(١) كتاب «دلائل النبوة» ١/٤٧.

- وفي كتاب الشهادات أدخل أحاديث مكارم الأخلاق.
- وفي كتاب الحدود جاءت أحاديث الاستئذان...

ومع ذلك لم يستطع أن يجعل بفعله هذا من كتابه كتاباً جامعاً على الرغم من سعة الكتاب وكثرة أجزائه.

فأحاديث الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار قليلة جداً بحيثُ تُعدُّ على الأصابع.

وأحاديث العقيدة والإيمان وذكر الجنَّة والنَّار واليوم الآخر لا وجود لها تقريباً.

وأحاديث الرقائق والآداب والفضائل قليلة جداً.

وهو معذور في عدم ذكرها، إذ ليست هي مما يدخل تحت عنوان الكتاب.

والكتاب بشكلٍ عام ـ وكما وصفه العلماء ـ مرجع في أحاديث أدلة الأحكام.

* * *

بعد هذا الوصف:

أقول: قد تمَّ مراعاة بعض الأمور:

١) ذكر المؤلف رأيه في كثير من النصوص تصحيحاً وتضعيفاً، فذكرتُ ذلك عقب الحديث أو الأثر.

٢) في بعض الأحيان يشرح المصنف كلمة غامضة، أو معنى غير واضح، وفي هذه الحال أضع ذلك في نهاية الحديث.

٣) وضع الشيخ علاء الدين، عز الدين المارديني الحنفي، المعروف بابن التركماني حاشية على السنن سمّاها «الجوهر النقي في الرد على البيهقي» وقد نقلت ما رأيته منها مفيداً، ووضعته في نهاية النص المعلّق عليه.

٤) اختصر الإمام الذهبي الكتاب وسمّاه «المهذب في اختصار السنن الكبرى للبيهقي» وقال في مقدمته: «وقد تكلمت على كثير من الأسانيد بحسب اجتهادي» وقد نقلتُ حكمه على الأحاديث التي تكلم عليها وجعلتُ ذلك بعد الحديث المتكلم عليه.

هذه خلاصة عملي في هذا الكتاب وقد بلغ عدد أحاديثه (٧٦٧٧) وصدر في ثلاثة مجلدات.

وهذا الكتاب في الزوائد على الكتب الستة، فهو ـ ومن باب أولى ـ أن يكون من الزوائد على الكتب التسعة. فهو بهذا يعدّ مكملاً للكتب التسعة.

* * *

وأما طريقة استخراج زوائد هذا الكتاب، فهي شبيهة بما سبق الحديث عنه في استخراج زوائد المسند.

وقد طبعه المكتب الإسلامي في ثلاثة مجلدات طبعة أنيقة، تتناسب مع الجهد المبذول في إعداده، جزى الله القائمين عليه خير الجزاء.



زوائد ابن خزيمة وابن حبّان والمستدرك على الكتب التسعة

بعد انتهائي من إعداد كتاب «زوائد السنن الكبرى» للبيهقي، رأيتُ أن أبدأ العمل في القسم الثاني من مشروع تقريب السُّنَّة، الذي سبق ذكره.

ووقع اختياري على هذه الكتب الثلاثة، لأن العلماء قدّموها على غيرها.

وجمعتُ بينها في كتاب واحد، لأن العلماء عندما تحدثوا عن هذه الكتب جمعوا بينها. والذي يربط بعضها ببعض، أن مؤلفيها التزموا جمع الصحيح، ولهذا جاء الحديث عنها كمجموعة واحدة ذات منهج واحد.

قال العلّامة الكتاني في «الرسالة المستطرفة»: «ومنها كتب التزم أهلها فيها الصحة ـ من غير ما تقدّم من الموطأ والصحيحين، منها: صحيح ابن خزيمة، وصحيح أبي حاتم (ابن حبَّان) وصحيح أبي عبد الله (الحاكم) النيسابوري».

وقال العلّامة أحمد شاكر: «صحيح ابن خزيمة، والمسند الصحيح لابن حبّان، والمستدرك على الصحيحين للحاكم، هذه الكتب الثلاثة هي أهم الكتب التي أُلِّفت في الصحيح المجرد، بعد الصحيحين للبخاري ومسلم».

وكانت طريقة استخراج زوائد هذه الكتب شبيهة بما سبق ذكره.

وقد بدأت بكتاب «ابن خزيمة» حديثاً حديثاً أقارنها على الكتب الثلاثة «الجامع بين الصحيحين» و«زوائد السنن» و«زوائد الموطأ والمسند» فما كان زائداً سجلته في بطاقة ووضعته في ملفه، وكذلك إذا كان هناك زيادة في حديث على ما في الكتب التسعة فإنها تسجل في بطاقة لتسجَّل في مكانها.

وكذلك جرى العمل في «صحيح ابن حيان»...

ثم في المستدرك.

وهكذا تجمعت زوائد هذه الكتب الثلاثة في الملفات. كل فصل على حدة..

وبعد ذلك قسمت هذه البطاقات حسب الأبواب.

ثم جرت المقارنة بين أحاديث الباب الواحد، فقد يكون الحديث الواحد مذكوراً في الكتب الثلاثة ـ ابن خزيمة، وابن حبان، والمستدرك ـ وعندها يذكر مرة واحدة ويشار إلى أنه موجود في الكتب الثلاثة.

وإذا كان هناك زيادة في كتاب منها ذكرتها ونسبتها إلى مرجعها وكذلك إذا كان الحديث في كتابين.

ويحسن بي أن أسجل بعض المعطيات التي وجدتها أثناء عملي.

* * *

أما صحيح ابن خزيمة، فمعظم أحاديثه مخرّجة في الصحيحين، والبقية مخرّجة في كتب السنن، والأحاديث الزائدة على الكتب التسعة قليلة بلغت (٢٩٦) ومجموع أحاديثه (٣٠٧٩) حديثاً.

وقد علَّق محققه الدكتور الأعظمي على الأحاديث صحة وضعفاً، وقد ذكرت هذه التعليقات في الحاشية.

* * *

وأما صحيح ابن حبَّان، فمعظم أحاديثه مخرّجة في السنن، وبعضها في الصحيحين، وبلغت أحاديثه الزائدة على الكتب التسعة (٥٣١) ومجموع أحاديثه (٧٤٩١).

وقد علَّق ابن حبَّان على الأحاديث، وذكرت تعليقه عقب كل حديث علَّق عليه، كما علَّق محقق الكتاب فضيلة الشيخ شعيب الأرناؤوط على الأحاديث، وذكرت تعليقه في الحاشية بشكلٍ مختصر، وبعض تعليقاته أخذتها من تعليقاته على «كتاب موارد الظمآن».

ومن المفيد هنا أن أذكر: أن «الهيثمي» استخرج زوائد كتاب «ابن حبَّان» على الصحيحين وجمعها في كتاب أسماه «موارد الظمآن» وقد حقق هذا الكتاب الشيخ شعيب الأرناؤوط.

وقد اعتمدتُ عليه في بدء العمل - توفيراً للوقت - وتمَّ العمل كاملاً، ولكنه تبين لي أن الهيثمي لم يلتزم بشرطه، فقد أخرج كثيراً من الأحاديث التي في الصحيحين أو

أحدهما، وقد بلغ عدد هذه الأحاديث في الجزء الأول (٥٤) حديثاً، وفي الجزء الثاني (٦٣) حديثاً، كما أنه لم يذكر أحاديث كان ينبغي أن يذكرها، ولذا عدتُ إلى الأصل وبدأتُ العمل من جديد.

* * *

وأما كتاب «المستدرك» فهو كتاب كبير بلغت أحاديثه قرابة تسعة آلاف، ادعى مؤلفه أنه استدرك على الإمامين «البخاري» و«مسلم» أحاديث على شرطهما أو شرط أحدهما.

وعندما نظر الحفاظ في الكتاب لم يجدوا صحة لبعض هذه الدعوى.

قال الإمام الذهبي: «في المستدرك جملة وافرة على شرطهما، وجملة وافرة على شرط أحدهما، لكن مجموع ذلك نصف الكتاب، وفيه نحو الربع مما صح سنده، وفيه بعض الشيء، معلل، وما بقي وهو الربع مناكير وواهيات لا تصح، وفي ذلك بعض موضوعات».

أقول: ويمتاز هذا الكتاب عن عامة كتب الحديث بأمرين:

الأول: الإطالة في كتاب «التفسير»، بينما اقتصرت كتب الحديث على ذكر بعض الآيات التي لها أسباب نزول أو مناسبة ما، وقد بلغ عدد هذه الأحاديث (١١٢٠).

الثاني: الإطالة في كتاب «معرفة الصحابة» الذي يشكِّل ثلث الكتاب من حيث الحجم، وعدد أحاديثه (٢٦٠٠) حديثاً، حتى غدا وكأنه كتاب في تراجم الصحابة، بينما اقتصرت الكتب الأخرى على ذكر المناقب، وقد ذكر فيه طائفة من الأحاديث باعتبارها من رواية الصحابي المترجم له، فأرجعتُ هذه الأحاديث إلى أبوابها.

وقد قام الإمام الذهبي بتلخيص «المستدرك» وتكلَّم على بعض الأحاديث وبين حكمها صحة وضعفاً، كما سكت عن بعضها وحذف بعضها لضعفه.

هذا وقد اضطرني العمل في هذا الكتاب أن أرجع إلى ثلاث طبعات له، لضبط النص:

١ ـ الطبعة الهندية التي صدرت عام ١٣٣٥هـ وفي ذيلها كتاب «التلخيص للذهبي».

٢ ـ طبعة دار المعرفة بعناية الأستاذ عبد السلام علوش.

٣ ـ طبعة دار الكتب العلمية بتحقيق الأستاذ مصطفى عبد القادر عطا.

ومع ذلك فإني وجدتُ عبارات وجملاً لا تنضبط مع السياق اللغوي الصحيح، ووجدتها في النسختين المتأخرتين كما وردت في الطبعة الهندية، فآثرتُ بقاءها كما هي، فلا يظن القارئ أنها من الأخطاء المطبعية، ومع ذلك فقد علَّقتُ على كثير منها.

وقد حرصتُ على الاستفادة من جهود الإمام الذهبي، فوضعتُ تعليقاته في الحاشية، أما ما حذفه أو سكت عنه، فإني لا أضع حاشية له.

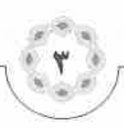
وقد كثرت زوائد المستدرك على الكتب التسعة، والسبب الرئيس هو كتاب «معرفة الصحابة» فكله من الزوائد، وكذا معظم كتاب «التفسير» وكذلك الربع الذي قال عنه الذهبي إنه من المناكير.. ولذلك بلغت الأحاديث الزائدة فيه ما يزيد على (٣٥٠٠).

* * *

إنه جهدٌ كبيرٌ بذل في إنتاج هذا الكتاب، ومعظمه كان في معالجة المستدرك، وأحمد الله تعالى أن يسر استكماله ويكفي ما فيه من توفير العناء في الرجوع إلى المستدرك، فما كان مشتركاً منه مع الكتب التسعة فقد حذف، وما بقي بعد ذلك فقد رُتِّب في أبوابه وذكرت التعليقات حول أحاديثه.

وأما ابن خزيمة وابن حبَّان، فلا إشكال حولهما، وقد سبق الحديث عنهما.

* * *



زوائد «الأحاديث المختارة» للمقدسي على الكتب التسعة

«الأحاديث المختارة» جمعها العلّامة ضياء الدين المقدسي (ت٦٢٣هـ) مما ليس في الصحيحين وهو مرتب على المسانيد على حروف المعجم، ولم يكمله، والتزم فيه الصحة.

وقد قام بتحقيق الكتاب ـ أو ما وجد من مخطوطاته ـ فضيلة الدكتور عبد الملك بن دهيش جزاه الله خيراً.

ويقع الكتاب في (١٣) مجلداً، وخرجت طبعته الخامسة في (٧) مجلدات ويقدر المحقق أن عدد الأحاديث التي جمعها الضياء هو (٨٠٠٠) حديثًا، وقد بلغ عدد الأحاديث التي أخرجها (٥٥٢٠)، وهو ما استطاع الحصول على مخطوطاته.

وقد قام المحقق بدراسة الأسانيد وحكم عليها، وقد ذكرت ذلك في الحاشية.

* * *

وأما الطريقة التي تمَّ فيها استخراج زوائد الكتاب على الكتب التسعة فهي الطريقة التي سبق الحديث عنها عند الكلام على مسند الإمام أحمد.

وكانت خلاصة العمل في مجلد واحد، اشتمل على (١١٣٨) حديثاً، مرتبة على الطريقة التي انتهجتها في هذه السلسلة.

* * *

وقد أهديتُ نسخة من الكتاب إلى فضيلة المحقق، حملها إليه إلى مكة المكرمة الأخ الكريم الأستاذ عبد الله العوبل. ثم زاره بعد ذلك مرة أخرى قبل وفاته، فذكر له الشيخ أنه قرأ الكتاب وذكر لي الأخ عبد الله: أن الشيخ أثنى على الكتاب وقال: إنه عمل مميز.. وأنه في نيته شراء خمسين نسخة لتوزيعها على إخوانه وتلاميذه..

رحم الله المؤلف والمحقق رحمة واسعة.

* * *



خلاصة الكتب المكملة للتسعة



١ ـ صحيح ابن خزيمة.

٢ ـ صحيح ابن حبّان.

٣ ـ المستدرك للحاكم.

٤ ـ السنن الكبرى للبيهقي.

٥ ـ الأحاديث المختارة للمقدسي.

وتُعدُّ هذه الكتب الخمسة أشهر وأهم كتب السُنَّة بعد الكتب التسعة، وما بعدها ليس في مستواها، ويغلب على أكثرها ذكر الآثار.

وإذا جمعت هذه الكتب الخمسة إلى التسعة صار المجموع (١٤) كتاباً، وهي أصول كتب السُّنَّة، وأعتقد أن الأحاديث التي جمعت فيها تغني عن غيرها، فما جاء من الأحاديث فيما سواها من الكتب إما أن يكون مذكوراً فيها، أو يكون فيها ما يقوم مقامه.

إن ما جاء في هذه الكتب الـ(١٤) مقارب لجمع السُّنَّة، وهي وافية بمقصد كل باحث وقد أصبحت في أربعة كتب:

١ ـ جامع الأصول التسعة.

٢ ـ زوائد ابن خزيمة وابن حبّان والمستدرك على الكتب التسعة.

٣ ـ زوائد الأحاديث المختارة على الكتب التسعة.

٤ ـ زوائد السنن الكبرى للبيهقي على الكتب الستة.

فما على الباحث إلا أن يفتح هذه الكتب على الموضوع المطلوب ليجد حاجته، فهي جميعاً ذات ترتيب واحد من حيث المقاصد والكتب والفصول بل والأبواب.

وأعتقد أنـي بهذا وصلتُ إلى مكان متقدم في جمع السُّنَّة.

ولعلَّ الله ييسر لبقية الكتب من يستخرج زوائدها على الكتب التسعة أو على الأربعة عشرة، ويتمُّ المشروع.

* * *



الفصل الثالث

الكتب المفردة

هذه هـــي المجموعـــة الثالثة من كتـــب تقريب السُّنَّة.

وهي كتب انفـــرد كل منها بموضوعـــه، وغاية عملي فيها هو تقريبها إلى يـــد القارئ الكريم، بعد ضبطها وتجميل عرضها.



تحقيق كتاب «الجمع بين الصحيحين» للموصلي

سبق القول عند حديثي عن «الجامع بين الصحيحين» أني قبل العزم على قيامي بالعمل، فتشتُ عن مخطوطة لتحقيقها.. وأثناء استطلاعي للمخطوطات وقفت على واحدة منها، تحمل العنوان التالي: الجمع بين الصحيحين مع حذف المسند والمكرر من البيْن.

وهي للعلّامة: أبي حفص عمر بن بدر الموصلي (٥٥٧ ـ ٦٢٢).

وقد أعجبتني طريقة الكتاب، وقلت إنه يؤدي الغرض كمختصر للصحيحين، وعزمتُ على العمل على تحقيقه بعد انتهائي من عملي الذي عزمتُ عليه.

وعدتُ إلى الكتاب للقيام بتحقيقه، ويحسن بنا أن نتعرف على الدوافع التي بعثت مؤلفه على هذا العمل.

رأى المصنف إعراض الناس عن علم الحديث في زمانه، ورأى أن سبب ذلك يعود إلى أربعة أشياء:

أحدها: أنه حق محض.

الثاني: كثرته.

الثالث: أنه يحتاج إلى الأسفار.

الرابع: أنه يسأم من طول الأسانيد والمكرر من المتون.

ولمعالجة هذا الإعراض، جمع كتابه هذا متبعاً الطريقة التي بيّنها بقوله:

«فجمعتُ كتابي هذا، وحذفتُ منه الأسانيد، والمكرر من المتون، إلا ما كان يحتمل إدخاله في أبواب متعددة، فإنّا نضطر إلى إعادته لئلا يخلو منه الباب».

وطلباً للاختصار ـ أيضاً ـ وعدم الإطالة، حذف بعض الأحاديث الطويلة، مما لا يدخل فيه لفظ نبوي، كما حذف الترضي عن الصحابة ﷺ مساهمة في الاختصار.

وقد رتب موضوعاته على حروف المعجم، ليكون سهل المتناول على من أراد الانتفاع به، كما قال، وهي الطريقة التي اتبعها ابن الأثير في كتابه «جامع الأصول» فبحث الصلاة في حرف الصاد، والطهارة في حرف الطاء.. وهكذا.

تلك هي دوافع الجمع، وتلك هي طريقة الكتاب.

وفي عنوان الكتاب قوله «مع حذف السند والمكرر من البين».

وهنا يتبادر إلى الذهن أن المصنف حذف المكررات من روايات الحديث الواحد، واقتصر على رواية واحدة.

وقد فعل المصنف ذلك، ولكنه سار في هذا الاتجاه شوطاً أبعد، فهو يحـذف المكررات من الأحاديـث ذات الموضوع الواحد. فعندما يـرد حديث في موضوع ما، عن عائشـة ﵂، ويرد مثله عن ابن عمر ﵄.. فإنه يكتفي بحديث واحد.

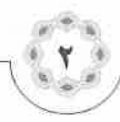
وإذا كان فـي الحديث الآخـر ـ أو الأحاديث الأخرى ـ زيـادة، ذكرها بقولـه: وفـي روايـة.. دون أن يبيّن اختلاف الراوي..

ولهـذه الأسـباب قلـت: إن الكتـاب مختصـر جيـد للصحيحين يتيـح لقارئه أخذ تصور عام عـن الموضوعات التي وردت في الصحيحين.

وقد بذلتُ جهدي في إخراجه بأحسـن مـا أمكنني مما شرحت تفصيله في مقدّمة الكتاب.

وقد صدر الكتاب عن «المكتب الإسلامي» في مجلدين وبلغ عدد أحاديثه (٢٨٧٩).

* * *



مشارق الأنوار على صحاح الآثار

كتاب (مشارق الأنوار على صحاح الآثار) للإمام الحافظ القاضي عياض (ت٥٤٤) وهـذا الكتاب يُعدُّ في كتب «غريب الحديث» وإن كان الغريب هو بعض ما جاء فيه.

وموضـوع الكتاب: هو تقويم الألفاظ المشـكلة والغريبة الواردة في الصحيحين والموطأ، وشـرحها وضبطها، وضبط الأسماء والكنى والأنساب، وأسماء الأماكن والبلدان، والتنبيه على ما يقع في ذلك من وهم أو تصحيف أو لبس، مع مقارنة الروايات والتنبيه على الفروق بينها والتوجيه إلى الصواب.

هذا بعض ما جاء في الكتاب واسـتيعاب بيان ما جاء به الكتاب يحتاج إلى صفحات كثيرة.. لا مجال لبيانها..

إنه كتاب فريد فـي بابه. بذل فيه من الجهد ما يعجز عنه الوصف، ولا يعرف قدر الكتاب إلا من تعامل معه.

حتى قال ابن فرحون: «كتاب مشارق الأنوار.. وهو كتاب لو كُتب بالذهب أو وزن بالجوهر لكان قليلاً في حقه».

وكرر هذه الكلمة العلّامة الكتاني في «الرسالة المستطرفة».

* * *

تعرفتُ علـى الكتـاب عند عملـي فـي «الجامع بين الصحيحين» وعدّتُ إليه لشرح بعض الألفاظ أو ضبط بعض الكلمات.

وكانت طبعات الكتاب التجارية متوفرة في الأسواق.

وكان الرجوع إلى هذا الكتاب أمراً فيه مشقة، لأنه معجم مرتب على الأحرف، ولكن ترتيب الأحرف فيه على غير ما عرفته المعاجم، فهو مرتب على أحرف تسلسلها على غير ما عرفناه، والذي يبدو أن هذا الترتيـب كان قائماً في المغرب يومئذٍ، وهذا الترتيب هو كالتالي:

أ ب ت ج ح خ د ذ ر ز (ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش) هـ و ي

والملاحظ أن الأحرف التي بين القوسين، هي على غير ما تعارفناه.

والأمر لا يقـف عند هذا الحد، بل يسـتمر عند مراجعة الكلمة في حرفها الأول والثاني، ثم الثاني والثالث.

إنه معجم ولكنه على ترتيب الأحرف التي ذكرتها، فعلى من أراد الرجوع إلى هذا الكتاب أن يضع هذه الأحرف أمامه ليستطيع الاستفادة منها عند الرجوع إلى الكلمة المطلوبة في حرفها الأول والثاني، ثم الثاني والثالث.

هذا الوضع جعلنـي أفكر في إعـادة ترتيب الكتاب

ليتوافق مع الطريقة المعجمية المتعارف عليها في المشرق.

ولما عزمتُ على ذلك رأيت أن أحقق نصّه أيضاً.

* * *

وقد يسّر الله لي طبعة مغربية قديمة صدرت سنة ١٣٣٣هـ في جزأين في مجلد واحد من القطع الكبير.

وحصلتُ على صور لثلاث مخطوطات، إحداها لنصف الكتاب.

وبدأتُ العمل، ولم يكن الأمر سهلاً، ويسّر الله إنجازه بعد صبر وأناة يتناسبان مع طبيعة العمل.

وكان أحد أصحاب دور النشر في مكة المكرمة يطلب مني أن أقدِّم له كتاباً لينشره، وكان ذلك بعد ظهور عدد من الكتب باسمي منها، من معين السيرة، وتحقيق المواهب اللدنية، والجامع بين الصحيحين، وزوائد السنن..

واتصلتُ بالرجل وأعلمته بالكتاب وموضوعه فرحب..

فحملتُ الكتاب وسافرتُ به إلى مكة المكرمة، وبعد أداء العمرة التقيتُ بالرجل وقدّمت له الكتاب، وكتب عقداً في ذلك على أن يطبع الكتاب خلال سنة على ما أذكر، وطبُع الكتاب وصُحح أكثر من مرة وانتهى تصحيحه..

وجعلتُ أنتظر صدوره، ومضى عام آخر وعام ثالث، وأنا مع وعود لا تنتهي ولا يتمُّ الإيفاء بها.

وفي يوم من الأيام اتصل بـي رجل من بيروت، وقال إن الكتاب جاهز من زمن طويل وقد كلَّفه صاحبنا بإعداده، ولم يدفع له شـيئاً من التكلفـة، والرجـل يطالبني بهذه التكلفة.. فحولـتُ له تلك القيمة وطلبـتُ منه أن يحتفظ بالكتاب عنده.

كان صاحب الدار في مكة يومئذٍ في ورطة مالية..

وجعلتُ أبحث عن دار نشر.. في قصة طويلة.. انتقل فيها الكتاب إلى أكثر من مكان.

ربما كان السبب في ذلك، أن الطبعة السائدة في السوق كانت في مجلدين بحرفٍ صغيرٍ وتُباع بسعرٍ زهيدٍ فهي طبعة تجارية بكل ما تعنيه الكلمة.

وأما كتابنا فقـد جاء في ثلاثة مجلـدات، كل منها يزيد على (٧٠٠) صفحة وهذا سيجعل سعره مرتفعاً..

ولا أريد الإطالة.. فقد قبلت دار القلم طباعته مشـكورة وصدر عام ١٤٣٣هـ وكان قد سُـلِّم لدار النشـر الأولى سنة ١٤٢٠هـ.

* * *



الأدب المفرد للإمام البخاري

كتاب «الأدب المفرد» للإمـــام البخاري، كتاب جمع فيه الآداب الإســـلامية، من كتابه «الصحيـــح» وأضاف إلى ذلك أحاديث أخرى.

بلغ عدد الأبواب في الكتاب (٦٤٤) حسب ترقيم الأستاذ فؤاد عبد الباقي، وقد لفت نظري عند قراءتي للكتاب:

١ - أن بعض الأبواب جاءت بشـــكل مجموعات يعالج كل منها موضوعاً واحداً، ومع ذلـــك تخلل هذه الأبواب، أبواب من موضوعات أخرى.

٢ - وجود بابين أو أكثـــر تحمل عنواناً واحـــداً، في أماكن متقاربة تارةً ومتباعدة تارةً أخرى.

٣ - وجود أبواب ذات موضوع واحد، جاءت في أماكن متباعدة.

٤ - وجود أبواب متباعدة جرت عادة المصنفين على وضعها متجاورة، كالغيبة والنميمة..

٥ - وجود أبواب وســـط مجموعـــة ذات موضـــوع واحد، فقطعتها عن بعضها.

٦ - وجـــود أحاديث فـــي بعض الأبـــواب، لا تمـــتّ إلى تراجمها بصلة.

ويظهـــر من ذلـــك أن الترتيب لـــم يكن مـــن اهتمامات المؤلف.. ونتج عن ذلك أمران:

الأول: صعوبـــة الرجوع إلـــى موضوع مـــا، وذلك لأننا بحاجة إلـــي البحث عنـــه بيـــن (٦٤٤) عنوانـــاً، وقد جاءت فهرستها في مطبوعة دار الصديق في (٦٢) صفحة.

الثاني: فقدان التصور الكلي للنظام الأخلاقي في الإسلام من خلال العرض القائم. وإن مجرد النظر في فهرس الكتاب، يضع القارئ أمام هذه القضية.

ولتـــدارك ذلك رأيـــت أن أقـــوم بإعادة ترتيـــب الكتاب والسّعي إلى:

١ ـ تقديم مادة الكتاب من خلال غرض منهجي موضوعي، مع المحافظة على تبويب المؤلف وعناوينه.

٢ ـ تقديـــم تصور كلي لنظـــام الأخلاق في الإســـلام من خلال عرض جديد، يربط الجزئيـــات بالكليات، كما يربط الفروع بأصولهـــا، وقد تمَّ ذلـــك ـ بحمد الله ـ فأصبحت الأبواب الرئيسة في الكتاب عشرة، تنضوي تحتها مادة الكتاب.

٣ ـ ضبط النصّ، وقد تمَّ ذلك على ثلاث نسخ معتمدة.

٤ ـ شرح الألفاظ والجمل، وبيان المشكلات.

٥ ـ تخريج الأحاديث والآثار وبيان الضعيف منها.

٦ ـ بيان الشاهد من الحديث، وربطه بترجمة الباب، حيث قد يخفى ذلك.

٧ ـ المحافظة على ترقيم الأحاديث الوارد في طبعة الأستاذ فؤاد عبد الباقي، والتي اعتمدت في شرح الكتاب للشيخ فضل الله الجيلاني، ليسهل الرجوع إلى الشرح لمن أراد ذلك.

٨ ـ وضع فهارس متعددة تساعد القارئ إلى الوصول لمطلوبه.

وأرجو بهذا أن أكون قد قدّمت خدمة للكتاب تساعد على الوصول للغاية المرجوة منه.

* * *



الوافي بما في الصحيحين

بعد ظهور «الجامع بين الصحيحين» وانتشاره، زارني بعض حفظة القرآن الكريم وطلبوا أن أختصر لهم الكتاب حتى يسهل عليهم حفظه.

وبعد التفكير في طلبهم، رأيتُ أن الاختصار لا يصلح لأن الغاية منه تقليل حجم الكتاب وعندها لن يكون هناك ضابط لما يحذف.

فرأيت أن أحذف من الأحاديث ما لا يخل حذفه بالمعنى العام، بحيث تبقى المعاني والأحكام التي جاءت في الصحيحين، كما هي دون نقص.

وفي سبيل ذلك اتبعت الخطوات التالية:

١ ـ إن كثيراً من الأحاديث نقلها عدد من الصحابة بنصّها دون تغيير أو اختلاف، وفي مثل هذه الحال يكتفى بذكر نصّ واحد.

٢ ـ بعض الأحاديث تدور حول معنى واحد. وقد جاءت من رواية عدد من الصحابة، كأحاديث الإسراء والمعراج، وأحاديث الشفاعة، وكثير من أحاديث الأحكام.. وهذا النوع من الأحاديث كثير، وفي مثل

هــذه الحال، يتمُّ اختيار النص الأشــمل، فــإن لم يفِ بالحاجة أضيفت له فقرات من النصوص الأخرى.

٣ ـ وفي بعض الأحيان، قد يرد معنـــى الحديث الذي رواه الصحابي ضمــن حديــث أشــمل رواه صحابي آخر، فيكتفي بالحديث الأشمل.

تلك هي الطريقة التي اتبعتها في إعداد هذا الكتاب، فلم يكــن الاختصار مقصــوداً لذاته، ولا يتمُّ حــذف حديث إلا حينما يوجد معناه أو نصّه في حديث آخر.

ولهذا أطلقتُ عليه اســم «الوافي» لأنه وافٍ بكل المادة التي وردت في «الجامع» ولم اســمه مختصراً، وحرصت أن يكون مضمونه مطابقاً لاسمه.

وقد صدر عــن «دار القلم» في مجلــد واحد، وبلغ عدد أحاديثه (١٩٢٩).

وبحمد الله تعالى فقد لاقى هذا الكتاب قبولاً لدى حفّاظ القــرآن وغيرهم، ممــن لا يتيح لهــم وقتهــم الجلوس مع المطولات..

وقد أُعيد طبعه للمرة الثالثة، مما يدلُّ على أنه لبّى حاجة كثير من القرّاء.

* * *



مسند الإمام أحمد بن حنبل

مسند الإمام أحمد، هو موسوعة الحديث، إذ تبلغ أحاديثه قرابة (٢٨) ألفاً، وقد صدرت له طبعات كثيرة وأحسنها وأفضلها طبعة مؤسسة الرسالة.

وفي مساء أحد الأيام اتصل بي أخ كريم ليطلب مني أن أخرج مسند الإمام أحمد على الطريقة التي اتبعتها في كتبي من حذف الأسانيد والمكررات والترتيب على الأبواب التي اخترتها لكتبي.

ووعدته خيراً..

وفكرتُ في كيفية إدارة العمل، وقد سبق لي أن أخرجت زوائد الموطأ والمسند على الكتب الستة.

وعدّتُ إلى هذا الكتاب ـ زوائد الموطأ والمسند ـ أنظر فيه، وإذا به ـ بحمد الله ـ قد احتوى على المسند بكامله مرتباً وفق المنهج الذي اخترته.

وذلك أني في طريقتي لجمع الزوائد، كنت أذكر جميع أحاديث الباب، فما كان مشتركاً مع الكتب الأخرى ذكرته بأرقامه، وما عدا ذلك فهو الزوائد، وكانت الغاية من ذلك

هي توثيق العمل ليطمئن القارئ أن الكتاب استوفى جميع الزوائـد، وما كنـت أقدِّر أنـي بعملي هذا أمهد السـبيل لإخراج المسند.

ولإيضـاح ذلك أذكـر البـاب الأول من زوائـد الموطأ والمسند.

١ ـ باب أركان الإسلام والإيمان

وقد جاء تحت هذا العنـوان (١٥) حديثاً انفرد بها الإمام أحمد، وهي الزوائد..

ثم جاء بعد ذلك ما يأتي:

[ج ـ ١] ابن عمر (٥٦٧٢) (٦٠١٥) (٦٣٠١)

[ج ـ ٢] أنس (١٢٤٥٧) (١٣٠١١)

[ز ـ ١] معاوية القشيري (٢٠٠٣٧) (٢٠٠٤٣)

[ز ـ ٢] معاذ بن جبل (٢٢٠١٦) (٢٢٠٢٢) ...

وهذا يعنـي أن باب (أركان الإسـلام والإيمان) احتوى علـى (١٥) حديثاً مذكورة بنصها وهـي الزوائد، وفي الباب أيضاً أربعة أحاديث مشتركة بين المسـند وغيره. اثنان منها في الجامع بيـن الصحيحيـن الأول منهمـا رواه ابن عمر وبجانبـه أرقامه في المسـند، والثاني رواه أنـس، وبجانبه أرقامه في المسند.

وحديثان آخران في «زوائد السنن على الصحيحين» الأول رواه معاوية القشيري وبجانبه أرقامه في المسند، والثاني رواه معاذ بن جبل، وبجانبه أرقامه في المسند.

هذه صورة الباب الأول في الكتاب وقد استوفى أحاديث «أركان الإيمان والإسلام» وإذن فالعمل اللازم لتستقر هذه الأحاديث في الباب الأول من الكتاب المراد إعداده، هو حذف الأرقام، ووضع الأحاديث مكانها، هكذا:

١ ـ فحديث ابن عمر الذي رقمه في الجامع بين الصحيحين (١) ويؤخذ نصّه من المسند من الأرقام (٥٦٧٢) (٦٠١٥) (٦٣٠١) ويتمُّ ذلك بعد مقارنتها بعضها مع بعض واختيار النص المناسب.

٢ ـ ثم تذكر بقية الأحاديث الأربعة من خلال الأرقام التي بجانبها.

٣ ـ ثم تذكر الأحاديث الـ(١٥) المذكورة بنصها.

وهكذا يستكمل الباب.. ويتابع العمل.

وعلى هذا نستطيع القول بأن العمل جاهز بعد وضع الأحاديث مكان الأرقام التي دلّت عليها هذه الأرقام..

إنه عمل سهل ولكنه يحتاج إلى وقت، وبخاصة في المقارنة بين الأرقام للحديث الواحد الذي تكرر نصه لاختيار النص المناسب، علماً بأن هذه الأرقام قد تبلغ عشرين رقماً أو أكثر للحديث الواحد.

وبدأتُ العمل.. ورأيتُ أن هذه الطريقة تتيح لي أن أشير في بدء كل حديث إلى من خرجه من أصحاب الكتب الستة والدارمي وذلك بوضع رمز هذه الكتب أمام الحديث.

وهذا استدعى أمراً آخر، وهو ترتيب الأحاديث ضمن كل باب، بحيث تكون الأحاديث المخرجة في الصحيحين أولاً يتبعها الأحاديث المخرجة في السنن، ثم الأحاديث التي انفرد بها الإمام أحمد.

وتمَّ العمل، وإذا بي أجدني وقد حققت أمنية الإمام الذهبي ـ التي لم تكن في ذهني والتي لم أسع لتحقيقها ـ حيث قال:

«فلعل الله يقيض لهذا الديوان العظيم ـ مسند الإمام أحمد ـ من يرتبه ويهذبه، ويحذف ما كرر فيه، ويصلح ما تصحف، ويوضح حال كثير من رجاله، وينبه على مرسله، ويوهن ما ينبغي من مناكيره.

ويرمز على رؤوس الحديث بأسماء الكتب الستة.

وإن رتبه على الأبواب فحسن جميل.

ولولا أني قد عجزتُ عن ذلك لضعف البصر، وعدم النية، وقرب الرحيل لعملتُ ذلك» اهـ.

هذا وقد وضعتُ في نهاية كل حديث الحكم عليه صحة وضعفاً، وذلك بالاستناد إلى عمل الشيخ شعيب وأصحابه

في طبعة مؤسسة الرسالة، ولم أفعل ذلك في الأحاديث المخرجة في الصحيحين أو أحدهما.

وهناك أمور تكميلية أخرى تفيد الباحث ذكرتها في مقدّمة الكتاب.

* * *

وقد صدر الكتاب في (٦) جلدات، طبعته دار القلم بدمشق وأخرجته بشكل أنيق ومظهر ممتاز من حيث الورق والتجليد، كما هو شأنها في مطبوعاتها.



الأحاديث النبوية الكليّة
التي عليها مدار أحكام الإسلام

استوقفتني كلمة للإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ، جاء فيها:

«أصول الإسلام على ثلاثة أحاديث.

حديث عمر (إنما الأعمال بالنيات..).

وحديث عائشة: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد).

وحديث النعمان بن بشير: (الحلال بيّن والحرام بيّن) اهـ.

ومثل هذه المعلومة عندما تصدر عن الإمام أحمد، فإنها لا تُقدر بثمن لنفاستها، فهو المحدِّث وهو الفقيه.

وهذا ما دفعني لجميع الأحاديث التي قيل في حقها مثل ذلك، وقد بلغت عشرة أحاديث وتبيّن أنها جميعها من أحاديث الأربعين النووية.

فرتبت هذه الأحاديث العشرة وشرحتها شرحاً وافياً، يظهر من خلاله المعاني الكلية التي قصد إليها الإمام أحمد..

وبعد أن تمَّ هذا العمل، وضعت بقية أحاديث «الأربعين النووية» في الباب الثاني من الكتاب، بعضها قمتُ بشـــرحه، ولم أشرح ما لا يحتاج لذلك.

إن الاهتمام بالأحاديث الكلية أمر مفيد، فهي كالدستور يضم رؤوس الأمور ويتحدث عنها.

وإذا وعى المســـلم هذه الأحاديث الكليـــة وحفظها فإنها ســـتكون الميزان الذي يزن به الأعمال عندمـــا يريد الإقدام عليها. وفي هذا من الخير ما فيه، حيـــث يكون على بصيرة فيما يقدم عليه، وما يحجم عنه.

* * *



تقريب مسند الإمام أحمد

بعد ظهور كتاب «مسند الإمام أحمد»..

اتصل بي أحد الإخوة من طلاب العلم قائلاً: إنه بعد خروج المسند أعتقد أنه يسهل عليك أن تخرجه مرة أخرى وفقاً للأصل بالمواصفات الجديدة التي خرج فيها، أي محذوف الأسانيد، محذوف المكرر، ولكنه مرتب على المسانيد كما وضعه مؤلفه محافظةً على الأصل..

وبعد مناقشة قلت: إن هذا العمل لو ظهر لن يُحتَاج إليه، أو لن يقبل عليه إلا طائفة محدودة من طلاب العلم، وذلك لأن الترتيب حسب الأبواب أكثر فائدة لعامة طلاب العلم..

ولهذا لن تقبل الدار الناشرة أن تنشر الكتاب مرة أخرى وعندها الطبعة الأولى التي خرجت.

وخلاصة القول: إن هذا الأخ تعهد بطبع الكتاب طبعة خاصة توزعُ مجاناً على طلاب العلم..

وبعد هذا.. بدأتُ العمل وظننت أن الأمر سهل ميسّر.. ولكن التوقع لم يطابق الواقع، فقد استمر العمل في هذا الموضوع بشكلٍ متواصلٍ مع الحرص على الوقت ثمانية

أشــهر، وتمَّ العمل ودفع إلــى دار النشــر «دار القلم» حيث قامت بصفِّ الكتاب وتمَّ تصحيحه ومراجعته وأصبح جاهزاً للطباعة في أربعة مجلدات..

أما كيف تمَّ العمل والطريقة التي أُتبعتْ لتحويل الترتيب من الأبواب إلى المسانيد، فذلك حديث يطول..

انتهى العمل في هــذا الكتاب منذ وقت.. ولكن الأخ لم يستطع الوفاء بالتزامه وإني بانتظار ذلك.

* * *

فوائد هذا التقريب:

ويحسن بي أن أذكر بعض فوائد هذا العمل، ومنها:

١) المحافظة على الكتاب بالشكل الذي تركه مؤلفه عليه.

٢) التعرف على النصوص مــن خلال الصحابي الراوي، حيث تكون كل الأحاديث التي رواها في مكان واحد.

٣) التعرف على الصحابة المكثرين من الرواية.

٤) وبمــا أنّ العناويــن فــي هــذا الكتاب هي «أســماء الصحابة» فإن هذا الأمر سيتيح للقارئ التعرف على الصحابة المقلِّين من الرواية، الذين لــم يرو الواحد منهم إلا الحديث أو الحديثيــن، وهــذه المعرفــة لا تحصل فــي الطبعة التي صدرت حسب الأبواب، إلا لمن قصدها.

تحسينات أدخلت على الكتاب:

هذه الطبعة وإن كان غايتها المحافظة على شكل الكتاب كما تركه مؤلفه.

ومع ذلـــك، فلم يكن هـــذا الهدف ليمنـــع ادخال بعض التحسينات ومنها:

١) أدرج المصنف عدداً من أحاديـــث المكثرين في غير مسانيدهم وقد تمَّ إلحاق هذه الأحاديث برواتها.

٢) جاءت أحاديث بعض الصحابة فـــي أكثر من موضع من المسند، وقد تمَّ جمع هذه الأحاديث في مكان واحد.

٣) تداخلت بعض أحاديث الرجال بأحاديث النساء، وقد تمَّ إرجاع كل حديث إلى راويه، رجلاً كان أو امرأة.

٤) كثرت فـــي الكتـــاب عناوين لأحاديث مفـــردة، مثل «حديـــث رجل مـــن أصحاب النبـــي ﷺ» و«حديـــث رجل» و«حديث أعرابي» وما أشبه ذلك.

فرأيت أن يكون لهذه الأحاديث قسم خاص يكون عنوانه: «أحاديث من لم يسمَّ من الصحابة».

كما تكـــرر عنوان: «حديث رجل مـــن الأنصار» فجمعت هذه الأحاديث تحت عنـــوان: «حديث رجال مـــن الأنصار» ووضعته في آخر «مسند الأنصار».

وتكرر أيضاً عنـــوان «حديث امرأة» وقد تـــمَّ جمع هذه

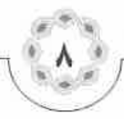
الأحاديث تحــت عنوان «حديث من لم يســمَّ من النســاء» ووضعتها في آخر «مسند النساء».

٥) جاءت أحاديث بعض النســاء خارج «مســند النساء» منتشرة ضمن بقية المسانيد، وقد تمَّ إلحاقها «بمسند النساء».

وهناك تحسينات أخرى لا مجال للإطالة بذكرها.

وأهمها خط بيانــي يبين ترتيب أحاديــث المكثرين من الصحابة.

* * *



معالم السُّنَّة النبويَّة

كانت الأعمال التي سبق الحديث عنها في جملتها لخدمة طلاب العلم خاصة إذا استثنينا منها: «الجامع بين الصحيحين» و«الوافي» و«الأحاديث الكلية».

وليس هناك كتاب مستوفٍ؛ يضع المنهج النبوي بين أيدي عامة الناس غير طلاب العلم.. من العمال والتجار والأطباء والمهندسين.. ممن يريد التعرف على السُّنَّة النبويَّة.

وأعتقد أن الإمام النووي شعر بالحاجة إلى مثل هذا الكتاب، فأراد أن يسد الفراغ، فصنف كتابه الشهير «رياض الصالحين» الذي كتب الله له القبول، وانتشر انتشاراً واسعاً.

ولكن كتاب «رياض الصالحين» اقتصر على ذكر فضائل الأعمال، والرقائق والآداب وقليل جداً من الأحكام التي جاءت عرضاً.

إن الهدف الذي أقصد إليه هو إيجاد كتاب يكون مرجعاً لكل مسلم ـ أياً كانت ثقافته ـ يرجع إليه للوقوف على الأحاديث النبويَّة التي توضح له ما يهمه في كل شؤونه الدينية والدنيوية.

وبتعبير آخر، إيجاد كتاب يحوي مجمل السُّنَّة، بحيث يلمُّ قارئه بأقوال النبي ﷺ وأفعاله في كل شأن دونته كتب السُّنَّة.

* * *

وفي سبيل الوصول إلى هذا الكتاب رأيت أن يكون مرجعي في ذلك الكتب التي سبق أن عملت عليها وهي (١٤) كتاباً.

١ ـ الكتب التسعة وقد أصبحت في كتاب واحد.

٢ ـ وابن خزيمة وابن حبّان والمستدرك، وقد أصبحت هذه الثلاثة في كتاب واحد.

٣ ـ زوائد السنن الكبرى للبيهقي.

٤ ـ زوائد الأحاديث المختارة.

إنها أربعة كتب تحتوي عل أربعة عشر كتاباً.

فرأيت أن أقوم بمسح شامل لأحاديث هذه الكتب الأربعة، وهي مرتبة على نسق واحد، فأنتقي من كل باب ما يؤدي الغرض.

* * *

وكان لا بد من خطة يقوم الانتقاء على أساسها؛ لأن وضوح الغاية، وتحديد القصد، يساعدان على الاختيار، كما يساعدان على اختصار الزمن والإفادة من الوقت.

أولاً: قمت بإحصاء الأحاديث التي في هذا الكتاب، والتي أُخذت من «الصحيحين» أو أحدهما، فبلغت (٢١٣١) وهذه إذا نسبت إلى مجموع أحاديث الكتاب فإنها تبلغ ٥٥٪.

وهذا مؤشر عظيم على مكانة الصحيحين من حيث تغطية الأحكام والمعاني التي وردت في السُّنَّة، وهذه النسبة لن تتغير إلا بنسبة قليلة لو جمعت السنّة بكاملها ولن تقلّ نسبتها عن ٥٠٪ بحال من الأحوال.

وهذا يؤكد ما أجمعت عليه الأمّة بشأن مكانة الصحيحين، ويضيف إلى ذلك بيان المساحة التي يغطيها هذان الكتابان بالنسبة إلى مجموع ما تبقى من كتب السّنّة، وهي كثيرة كثيرة، فهما وحدهما يغطيان نصف الأحكام والمعلومات التي وردت في السُّنَّة، بل والأحكام التي هي الأساس والأصل.

وبقية الكتب الأخرى على كثرتها تغطي النصف الثاني الذي يشتمل على الفروع والتتمات.

ثانياً: إن مجموع أحاديث الكتب التسعة الموجودة في كتاب «معالم السُّنَّة النبويّة» هو (٣٦٩١) ونسبتها إلى مجموع أحاديث الكتاب هي (٩٤٪) وهي نسبة كبيرة كما هو واضح.

وهذا دليل ذو قيمة كبيرة يؤكد ما ذهب إليه كثير من العلماء من تقديم هذه الكتب على غيرها، وأنها تغني بالجملة عن غيرها.

ثالثـاً: إن مجموع الأحاديـث التي أخذت مـن الكتب الخمسة وهي: ابن خزيمة، وابن حبان، والمستدرك، والسنن الكبرى، والمختارة، هي (٢٣٠) حديثاً، ونسبتها إلى مجموع أحاديث الكتاب، تسـاوي (٦٪) علماً بـأن مجموع أحاديث هذه الكتب هـو (٤٦٧٤١) وهـذا يؤكد ما ذكرته فـي الفقرة السـابقة من مكانة الكتب التسـعة، كما يعطي مؤشراً مهماً، وهو أنه لو استكمل جمع كتب السُّنَّة فلن تزيد نسبة أحاديث هذه الكتب على نسـبة (١٠٪) وهي نسـبة قليلة عندما تقاس بأرقام الأحاديث الكبيرة التي هي أصلها.

إن هذه المعطيـات الرقمية التي يسـجلها هذا الكتاب، ذات أهمية كبيرة، ولم يكن من الممكن الحصول عليها لولا فضل الله تعالى الذي أعان على إتمام هذا المشروع الكبير في تقريب السّنّة المطهّرة.

* * *



الوجيز في السُّنَّة النبويَّة

كنت قد ختمت عملي في «مشروع تقريب السُّنَّة النبويَّة» بصدور كتاب «معالم السُّنَّة النبويَّة» كما ذكرت ذلك عند الحديث عنه.

ولكن المهندس الشيخ باسل الفوزان رئيس إحدى الهيئات الدعوية طلب مني أن أختصر له هذا الكتاب، بحيث يخرج في مجلد واحد، بغية ترجمته إلى عدد من اللغات الأخرى.

فقمت بتلبية الطلب، وحرصت على أن يتوفر في الكتاب المختصر أمران:

الأول: أن يلبي حاجة الفرد المسلم في معرفة ما يهمه من أمر دينه، وكذلك في أمر دنياه، في معاملاته وعلاقاته الاجتماعية..

الثاني: أن يعطي تصوراً عاماً عن هذا الدين وخصائصه ومزاياه.

وقد بذلت جهدي في سبيل تحقيق ذلك.

وبعد أن استكمل العمل، رأيت أن طباعته باللغة العربية، قد يكون أمراً مفيداً لبعض القراء الذين لا يجدون الوقت للمطولات.

وبهذا أصبح «الوجيز» هو الكتاب السادس عشر في هذا المشروع، واَللهُ أرجو أن ينفع به، وبما سبقه، وأن يجعل ذلك خالصاً لوجهه الكريم، إنه نعم المسؤول.

* * *

خاتمة الفصول الثلاثة



معطيات مشروع تقريب السُّنَّة النبويَّة



إنَّ هذا المشـروع ـ بحمد الله تعالى ـ قـد لبى حاجات كثيرة، منها:

١ ـ أصبح الصحيحان ـ وهما أصح كتابين بعد كتاب الله تعالى ـ في متناول الأيـدي في كتاب واحد هو «الجامع بين الصحيحين» وهذه حاجة لكل مسلم.

٢ ـ ومن لم يسمح وقته بدراسة «الجامع بين الصحيحين» فإن كتاب «الوافي بما في الصحيحين» يلبي حاجته، كما يلبي حاجة من رغب من طلاب العلم في حفظ الصحيحين.

٣ ـ وأما كتاب «جامع الأصول التسـعة» فإنه يلبي حاجة جميع طلاب العلم، وكثير من العلماء.

٤ ـ وأما بعض العلماء والباحثين ومن هم بصدد دراسات متخصصة فإن كتب الزوائد التاليـة ـ إذا أضيفت إلى «جامع الأصول التسعة» ـ تلبي حاجتهم، وهي:

ـ زوائد السنن الكبرى للبيهقي على الكتب الستة.

ـ زوائد ابن خزيمة وابن حبان والمسـتدرك على الكتب التسعة.

ـ زوائد الأحاديث المختارة على الكتب التسعة.

وبهذا يكون معظم السّنة الشريفة بين أيديهم.

٥ ـ إن كتاب «معالم السُّنَّة النبويَّة» يلبي حاجة جميع المسلمين، ممن هم ليسوا من طلاب العلم الشرعي.

إنه كتاب يعطي التصور العام عن السُّنَّة المطهّرة، فهو خلاصة الخلاصات، وهو وافٍ إن شاء الله ـ وبحمد الله ـ بكل الأحكام التي يحتاجها المسلم وكذلك بالمعاني التي وردت في السُّنَّة من الفضائل والرقائق والأخلاق والآداب.

٦ ـ وأما «الوجيز» فهو الدستور لكل مسلم.

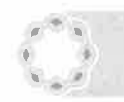
وهكذا ـ بهذه التغطية ـ يجد كل مسلم حاجته، فالحمد لله حمداً طيباً مباركاً فيه على ما يسّر وسهّل وأعان، وله الحمد كله سبحانه وتعالى.

إلى هنا تنتهي الإجابة على سؤال ابن أخي الأستاذ مصعب عما يتعلق بكتب السُّنَّة المطهّرة، وبما أن «السيرة النبويّة» هي بعض السُّنَّة، فسيكون الحديث عنها في الفصل التالي، وجرياً على طريقة الإمام ابن القيم في الاستطراد التناسبي. فسأذكر في الباب الثاني بقية ما سطره القلم.

* * *



إحصاءات رقمية



وأختم هذه الفصول الثلاثة ببعض الإحصاءات الرقمية لعدد الأحاديث لعلها تساعد على تصور عام حول هذه الكتب:

١ ـ أحاديث الصحيحين

العدد	الإيضاح
٧٥٦٣	أحاديث البخاري حسب ترقيم فؤاد عبد الباقي.
٣٠٣٣	أحاديث مسلم حسب ترقيم فؤاد عبد الباقي.
٣٩١٦	أحاديث الجامع بين الصحيحين (٣٨٩٦ + ٢٠ رقم مكرر).
١٧٧٤	ما اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم.
٨٣٧	ما انفرد به البخاري (منها عشرة أحاديث معلقة).
١٣٠٥	ما انفرد به مسلم

وقد بلغ عدد أحاديث كتاب «اللؤلؤ والمرجان» فيما اتفق عليه الشيخان (١٩٠٦) بينما هي في «الجامع بين الصحيحين»

(١٧٧٤) والسبب في ذلك أن الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي يكرر بعض الأحاديث، وانظر على سبيل المثال الحديثين (٩٤) و(٩٠١) عنه.

نخلص مما سبق إلى أن:

٢٦١١	عدد أحاديث البخاري بعد حذف المكرر (١٧٧٤ + ٨٣٧).
٣٠٧٩	عدد أحاديث مسلم بعد حذف المكرر (١٧٧٤ + ١٣٠٥).

وقد يسأل سائل: كيف زاد عدد أحاديث مسلم على (٣٠٣٣) الذي جاء في ترقيم فؤاد عبد الباقي؟

والجواب: جاءت أحاديث مكررة في «صحيح مسلم» في أماكن متباعدة عن بعضها، وفؤاد عبد الباقي يعطيها الرقم نفسه، وقد يكون التكرار عبارة عن رواية أخرى للحديث بنص آخر، فمن هنا جاءت الزيادة، وانظر على سبيل المثال الحديث (١٥٠) صفحة (١٣٢)، والحديث (١٥٠) صفحة (٧٣٢).

أقول: ربما كانت هي المرة الأولى التي تنشر فيها إحصائية لعدد أحاديث الصحيحين، والمفاجأة فيها: أن عدد أحاديث مسلم أكثر من أحاديث البخاري، خلافاً لما كان مستقراً في الأذهان.

٢ ـ أحاديث السنن

(أبو داود، الترمذي، النسائي، ابن ماجه، الدارمي)

العدد	الإيضاح
٢٢٨٤٨	مجموع أحاديث السنن الخمسة.
١٥١٦٠	المخرج منها في الصحيحين.
٧٦٨٨	زوائد السنن على الصحيحين.

٣ ـ أحاديث الموطأ

العدد	الإيضاح
١٨٩١	بلغت أحاديث الموطأ في عدد من الطبعات
١٧٤٠	أحاديث الموطأ بعد حذف المكرر
٦١٤	المخرج منها في الصحيحين أو أحدهما
١٣٦	المخرج منها في السنن الخمسة
٢٤	المخرج منها في المسند
٩٦٦	انفرد بها الإمام مالك عن الكتب الثمانية

٤ ـ أحاديث مسند الإمام أحمد

العدد	الإيضاح
٢٧٧٣٩	أحاديث المسند وفقاً لطبعة مؤسسة الرسالة (٢٧٦٤٧) يضاف إليها مكررات الرقم (٢٤٠٠٩) وهي (٩٢)، فالمجموع.
٩٥٦٦	أحاديثه بعد حذف المكرر.
٣١١٥	المخرج منها في الصحيحين أو أحدهما.
٢٩٠٥	المخرج منها في «السنن» و«الموطأ».
٣٥٤٦	انفرد بها الإمام أحمد عن الكتب الثمانية.

هذا ما توصلتُ إليه عندما يسّر الله إخراج المسند في «دار القلم» وهذه الإحصائية أصح مما جاء في مقدمة «زوائد الموطأ والمسند».

٥ ـ أحاديث السنن الكبرى للبيهقي

العدد	الإيضاح
٢١٨١٢	أحاديث السنن الكبرى وفقاً لطبعة «دار الكتب العلمية» بتحقيق عطا.

العدد	الإيضاح
٧٧٩٧	المخرج في الصحيحين منها، كما ذكر الدكتور نجم خلف.
٦٣٣٨	المخرج في السنن الأربعة.
٧٦٧٧	الزائد على الكتب الستة.

٦ ـ أحاديث صحيح ابن خزيمة

العدد	الإيضاح
٣٠٧٩	أحاديثه.
٢٧٨٣	المخرج منها في الكتب التسعة.
٢٩٦	الزائد على الكتب التسعة.

٧ ـ أحاديث صحيح ابن حبان

العدد	الإيضاح
٧٤٩١	أحاديثه.
٦٩٦٠	المخرج منها في الكتب التسعة.
٥٣١	الزائد على الكتب التسعة.

٨ ـ أحاديث المستدرك

العدد	الإيضاح
٨٨٠٣	أحاديثه وفقاً لطبعة دار الكتب العلمية بتحقيق عطا.
٥٣٠٠	المخرج منها في الكتب التسعة (تقريباً).
٣٥٠٣	الزائد على الكتب التسعة (تقريباً).

٩ ـ أحاديث المختارة

العدد	الإيضاح
٥٥٢٠	أحاديث الكتاب.
٤٣٨٢	المخرج منها في الكتب التسعة.
١١٣٨	الزائد على الكتب التسعة.

١٠ ـ المجموع

العدد	الإيضاح
١١٤١٩٤	مجموع أحاديث الكتب السابقة وهي (١٤) كتاباً.
٢٨٤٣٠	مجموع أحاديثها بعد حذف المكرر.





الفصل الرابع

السيرة النبويّة

السيرة النبويّة هي بعض ـ السُّنَّة المطهَّرة ـ نجدها في الكتب الجوامع، كالجامع الصحيح للإمام البخاري، والجامع الصحيح للإمام مسلم، وجامع الإمام الترمذي..

ولا نجدها إلا قليلاً في كتب ـ السنن ـ وذلك لأن هذه الكتب عنيت بأحاديث الأحكام.. فما كان من أحاديث الأحكام من السيرة ذكرتْها.

وإذا رجعنا إلى كتاب «الجامع بين الصحيحين» ـ وهو في أربعة أجزاء ـ وجدنا معظم الجزء الرابع في السيرة، أي: بمعدل خُمس الكتاب كله، وهي مساحة كبيرة...

وفي هذا الفصل أذكر باختصار ما مَنَّ الله عليَّ من كتابته في هذا الموضوع ودواعي ذلك.



من معين السيرة

في صيف عام ١٩٨٢م في شهر رمضان عام ١٤٠٢هـ دعاني مدير المعهد الذي كنت أدرس فيه، لإلقاء محاضرة عن غزوة بدر في مناسبتها من الشهر الكريم.

وفي الإعداد لهذه المحاضرة رأيتُ أن جميع الناس يعرفون الكثير عن هذه الغزوة، فما عسى أن أفيدهم من كلامي، ثم رأيت أن لا أعتمد سرد الوقائع، وإنما انتقيتُ بعض المواقف وشرحتها وعلّقتُ عليها..

رتبت الكلام في ذهني عن المواقف التي أردت الكلام فيها.. وألقيتُ المحاضرة.. ولاقت ـ بحمد الله ـ استحساناً كبيراً..

ولما رجعتُ إلى البيت فكّرتُ وقلتُ في نفسي: لماذا لا أكتب السيرة بهذا الأسلوب وهذه الطريقة..

وكان كتاب «من معين السيرة»..

وحملتُ مخطوطته وجئتُ إلى الرياض واتجهتُ إلى مندوب «المكتب الإسلامي» وقدّمتُ له الكتاب طالباً منه إيصاله إلى بيروت.. فما كان من المندوب إلا أن قال: يا أستاذ.. إن كتب السيرة كثيرة،، وامتنع بشكلٍ لبقٍ عن

استـلامه.. وحملتُ الكتاب.. واتجهتُ فـي طريق العودة إلى «الدلم» حيث كنتُ أعمل مدرساً في معهدها.. ثم خطر بفكري أن أزور زميلي وصديقي الأستاذ محمود شاكر ـ المؤرخ ـ رَحِمَهُ الله فاتجهتُ إلى بيته.. وكان فيمـا جرى من حديث الحديث عن الكتاب..

وما أن سـمع القصة حتى قال: قم بنا.. وركبنا السـيارة واتجهنا إلى مندوب المكتب ثانية، ليقول له الأستاذ محمود: نحن لم نطلب رأيك في الموضـوع، وإنما نطلب أن توصل الكتاب إلى بيروت.. وطبع الكتاب.

كان كتاب «من معين السـيرة» أول كتـاب خطته يدي، وكان ذلك بعد الخامسـة والأربعين مـن العمر.. وذلك أني كنتُ لا أرى نفسـي أهلاً لذلك.. ولولا تلـك المحاضرة لم يكن ذلك الكتاب.

* * *

وقد لاقى ـ بحمد الله ـ قبولاً حسناً من القراء على الرغم من أن اسم المؤلف يظهر في السوق لأول مرة.

* * *



كتاب «المواهب اللدنية» للقسطلاني

كنتُ قرأتُ كتاب «قصص من التاريخ» للشيخ علي الطنطاوي رَحِمَهُ اللَّهُ، وكان مما جاء في مقدمته ـ ناصحاً القارئ أن يهتم بمطالعة كتب السيرة ـ قوله:

«وابدأ فانظر ما أُلّف في سيرة سيد البشر ومعلم الخير ﷺ، وكيف دوّنتْ حركاته وسكناته وألفاظه وإشاراته، في مئاتٍ من الكتب، وإذا شئتَ كتاباً يكاد يغني عن هذه الكتب كلها، ولا يغني عنه كتاب، فاطلب شرح المواهب للزرقاني»..

ولما قرأتُ قوله هذا سارعتُ إلى شراء هذا الكتاب، وهو في (٨) مجلدات من القطع الكبير، وجاء فيه شرح الزرقاني على طريقة المزج، أي أن الشرح لم يأتِ تعليقاً في حاشية الكتاب، وإنما يأتي بالجملة أو الكلمة من قول القسطلاني ويضعها بين قوسين ثم يأتي شرح ذلك...

وهذا أمر متعب للقارئ، لأن الشارح كثيراً ما يخرج عن مادة السيرة، ليناقش مسألة في الأصول أو اللغة أو الفقه.. الأمر الذي يقطع قراءة القارئ للسيرة..

ومنذ رأيتُ الكتاب تمنيتُ أن أعمل عملاً أجعل فيه

كتاب القسطلاني في أعلى الصفحة، وأجعل الشرح في الحاشية، بحيث يستطيع القارئ الاقتصار على المتن لو أراد..

ثم شغلت.. وانصرفتُ عن الموضوع.

وبعد خروج كتاب «من معين السيرة» عادت الفكرة إلى الذهن، وعدتُ أنظر في الكتاب.. ثم عزمتُ على العمل..

ولمّا عزمتُ على ذلك فكرتُ في أن أحصل على مخطوطة أوثق فيها العمل الذي سأقوم به.. فلم يتيسر ذلك، فرأيتُ أن أقوم بتحقيق الكتاب وأضيف إليه من الشرح كل ما يتعلق بالسيرة وأضع ذلك في الحاشية.

وبهذا أكون قد خدمتُ الكتاب من ناحيتين: تحقيق الكتاب، والاقتصار من الشرح على ما له صلة بالسيرة، وفي هذا ما فيه من توفير الوقت على القارئ مع حصوله على الفائدة المرجوة.

ويسّر الله لي الحصول على ثلاث مخطوطات، وعلى مطبوعة قديمة، إضافة إلى شرح الزرقاني.. وتمَّ تحقيق الكتاب بموجب ذلك، الأمر الذي شرحته تفصيلاً في مقدّمة الكتاب الذي قام بطبعه المكتب الإسلامي في أربعة مجلدات.

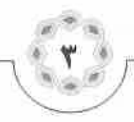
ومن المفيد أن أشير إلى أني بذلتُ جهدي في إخراج الكتاب على أحسن ما أستطيع، ولا أريد أن أطيل الكلام

في ذلك، فهو موجود في مقدّمـــة الكتاب، والكتاب دليل على ذلك.

ومن جملـــة ما قمتُ بـــه: وضع عناويـــن فرعية ـ كان الكتاب خلواً منها ـ تُسَـــهِّل على الباحـــث الرجوع إلى ما يريد، كما تساعد القارئ على معرفة الأفكار الرئيسة في كل موضوع.

وقـــد طَبَعَتْ «شـــرح الزرقانـــي» بعد ذلـــك «دار الكتب العلمية» في بيروت، وأخذتْ هـــذه العناوين كاملة.. دون أن تشير إلى واضعها بكلمة.

* * *



من معين الشمائل

بعد اشتغالي بكتب السُّنَّة المطهَّرة، الأمر الذي أتاح لي الاطلاع على كثير من شمائله ﷺ، رأيتُ أن أجمع كتاباً في ذلك.

ورجعت إلى كتب الشمائل قبل مباشرة العمل، فرأيتُ مساحة الحديث عن الشمائل فيها ضيقة محدودة.

فالإمام الترمذي اقتصر على ذكر: الكلام، والضحك، والمزاح، والزهد، والشجاعة.

واقتصر الإمام ابن كثير على ذكر: الأخلاق، والكرم، والمزاح والزهد، والشجاعة.

واقتصر الإمام البغوي ـ وكتابه أوسع كتب الشمائل ـ على: حسن الخلق، والحلم والعفو، والرفق، والرحمة والشفقة، والبكاء والضحك، والحياء، والشجاعة، والجود، والتواضع، والخوف.

ولعلَّ الذي دفعهم إلى ذلك، وهو قصرهم الشمائل على الجانب الإيجابي الفعلي، فهم في الغالب يريدون لكل عنوان واقعة مادية يُستَشهَدُ بها عليه، والخلق الذي لا تتوفر له تلك الواقعة، لا يذكرونه.

وعندما ننعم النظر، فإنّا نستطيع تقسيم الشمائل إلى ثلاثة أنواع:

الأول: شمائل إيجابية فعلية، ومن أمثلتها: الشجاعة والحياء، وهذا النوع هو الذي اقتصر عليه كتاب الشمائل.

الثاني: شمائل إيجابية دلَّ عليها قوله ﷺ، وهي ما حضَّ عليه ﷺ من أعمال البرِّ، مما لا يظهر في الوقائع المادية، وإنما تظهر آثاره من خلال السلوك العام، وقد لا تظهر بعض الأحيان، كالإخلاص.

فعندما يأمر النبي ﷺ بأمر، فلا بدّ وأنه كان ملتزماً به وفاعلاً له، فما كان ﷺ ليأمر بشيء، ثم لا يفعله.

ولا شك بأن هذا السلوك مما يدخل في الشمائل.

الثالث: شمائل سلبية، ويتمثل هذا النوع في الامتناع عن سيء الأخلاق، وهذا جانب مهم في موضوع الشمائل، ولم يذكره أحد ممن كتب في هذا الموضوع فعملتُ على إظهار هذه الجوانب جميعها..

على أنه مهما بذل الباحث من جهد في محاولة لاستيعاب شمائله ﷺ، فإنه سيظل مقصراً، إذ لا يمكن استقصاء ذلك، وستظل كتب السُّنَّة هي المرجع الأوفى لهذا الغرض وغيره، مما يتعلق بالنبي الكريم ﷺ.

ولهذا كان اختيار عنوان الكتاب: «من معين الشمائل» ليكون مطابقاً للواقع، إذ المذكور فيه إنما هو نماذج.

وأحمدُ الله تعالى أن يسَّر لي أن أذكر في هذا الكتاب ما لم أسبق إليه، من شمائل لم يتعرض أحد لذكرها.



من معين الخصائص النبويَّة

يسَّر الله تعالى العمل على إخراج هذا الكتاب بعد كتاب «من معين الشمائل» لاستكمال بعض الجوانب مما يتعلق بسيرته ﷺ.

والمقصود بالخصائص: ما خصَّ الله به رسوله ﷺ من التكريم والتشريف..

والخصائص في جملتها ترجع إلى نوعين:

- خصائص الأحكام: مثل إباحة الزواج بأكثر من أربعة..
- وخصائص الفضائل: مثل عموم رسالته ﷺ، وكونه خاتم النبيين..

وكتب الخصائص كثيرة، وقد أصاب بعضها السمن والورم، وذلك لأسباب منها:

١ ـ التساهل في قبول الأحاديث، فقد تساهل معظم كتّاب السيرة في قبول الأحاديث الضعيفة، ويرون أن وضعها في الباب حسن، والأمثلة على ذلك كثيرة ذكرتُ بعضها في مقدمة الكتاب.

٢ ـ القول بالخصوصية لأدنى احتمال، علماً بأن الخصوصية لا تثبت إلا بنصٍّ صحيح.

٣ ـ كثرة التفريعات، ومن أمثلة ذلك مسـألة القول بوجوب صلاة الضحى على النبي ﷺ، والكلام الطويل في ذلك والذي لا طائل وراءه.

٤ ـ التسـابق بين المؤلفين إلى استدراك بعض الخصائص، وأصبح ذلك هدفاً لبعضهم..

٥ ـ يضاف إلى ذلـك غياب الالتزام لـدى بعضهم بقواعد وضوابـط التخصيص، وهو السـبب الرئيس الذي أدى إلى هذا الخلل.

وبعد هذه المقدمة أقول:

هدفي من هـذا الكتاب، هو الوقـوف عند الصحيح من سيرته ﷺ مما تشهد به الأدلة الصحيحة، بعيداً عن المبالغات التـي اعتمـدتْ علـى الأحاديـث الضعيفـة والواهيـة بل والموضوعة.

وقد عملتُ علـى الالتزام بما قصـدتُ، فجاء بحمد الله كتاباً يؤدي الغرض في بابه، ويعطي تصـوراً عاماً دقيقاً عما جاء في الكتب الأخرى.

وفي مقدمة الكتاب بحث وافٍ عما كتب عنه ﷺ وأنواع ذلك وأقسامه، وبحث آخر أيضاً عن كتب الخصائص، الأمر الذي يغني القارئ عن الرجوع إلـى كثير من الكتب ويعطيه تصوراً عنها.

* * *



السيرة النبويّة (تربية أمة وبناء دولة)

هذا الكتاب هو نمط جديد من السيرة، لم أرَ من كتب فيه من قبل، أردتُ فيه أن أرصد حركة الدعوة التي ربيت عليها الأمة خلال حياته ﷺ، ثم بيان كيف تمَّ بنيان الدولة بعد ذلك.

إنَّ تتبع حركة هذا الدين على يديه ﷺ ومعرفة ترتيبها، الأول فالأول، في محاولة للتأسي بها في تربية جيل يحمل الإسلام مرة أخرى، واجبٌ على علماء هذه الأمة، ولعله من أول الواجبات.

إن تربية الأفراد طويلاً سبقت إقامة المجتمع الإسلامي، وإن التدريب على الصبر تربية للنفوس، سبق مطالبتها بالصبر في ميادين القتال.

إننا بحاجة إلى دراسة متأنية للسيرة، لا باعتبارها أعمالاً وأقوالاً فحسب، وإنما باعتبار هذه الأعمال والأقوال وردت في ترتيب زمني، وفق أولويات رُوعِيَ فيها الوضع النفسي والعددي والمادي.. للجماعة المسلمة.

إن مثل هذه الدراسة أمر ضروري إذا أُريد إعادة بناء مجتمع مسلم.

وإني إذ أسهم في هذا الميدان بهذا الجهد المتواضع الذي كلف الكثير من الوقت وإعمال الفكر لإنتاجه.. أرجو أن يكون حافزاً لتوسيع هذا النمط من البحث ممن هم أقدر مني على ذلك.

وأرى أنه من المستحسن أن أضع بين يدي القارئ الكريم منهج البحث الذي اعتمدته في هذا الكتاب، فقد يعطي بعض التصور عن هذا الموضوع.

* * *

قسمتُ هذا البحث إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ويتحدث عن حركة الدعوة في مكة.

وفيه ثلاثة أبواب:

الأول: يتناول الحديث عن مراحل سير الدعوة.

الثاني: يتحدث عن التربية في المرحلة المكية.

الثالث: يتحدث عن مسارات التربية وسماتها.

القسم الثاني: يتحدث عن الهجرة. وفيه فصلان.

الأول: يبحث أمر الهجرة إلى الحبشة.

الثاني: يبحث أمر الهجرة إلى المدينة.

القسم الثالث: ويتحدث عن حركة الدعوة في المدينة. وقد قسمتها إلى ثلاث مراحل. وفيه ثلاثة أبواب:

الأول: يبحث المرحلة الأولى من الهجرة إلى بدر.

الثاني: يبحث المرحلة الثانية: من بدر إلى صلح الحديبية.

الثالث: يبحث المرحلة الثالثة: من الصلح إلى نهاية العهد النبوي.

وفي كل من هذه الأبواب: الفصول التالية:

١ ـ بحث الحياة السياسية والعسكرية.

٢ ـ بحث الوضع السكاني.

٣ ـ بحث حركة الدعوة.

٤ ـ بحث الوضع الاقتصادي.

٥ ـ بحث التربية.

* * *



سيرة النبي ﷺ في بيته

جعل الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ أسوةً للمسلمين يقتدون به، كل فيما يسَّره الله له من عمل ـ فهو الأسوة للدعاة إلى الله يقتبسون من سيرته في دعوتهم..

والقاضي يتأسى به في قضائه، والمفتي، والقائد، والأمير.. وهكذا في كل شؤون الحياة.

ولعلَّ الأمر الذي يحتاج إليه كل مسلم، هو التأسي به ﷺ في سلوكه في بيته مع أزواجه وأولاده، وكل ما يتصل بذلك.

فكل ربُّ أُسرة بحاجة إلى معرفة هذه السيرة ليسير على هديها.

والبيوت ـ عادة ـ مكان الخصوصيات، والمكان الذي لا يحب الإنسان أن يطلع الناس عليه، حيث يأخذ المرء حريته في تصرفاته.

ولكن بيته ﷺ أو بيوته ـ وإن كان لها أبواب أو ستور تحجبها عن الناس ـ فإن كل ما كان يحدث فيها، كان يُنْقَل إلى الناس، بما في ذلك أدق التفاصيل مما يعتبر من خصوصيات الإنسان، لا في طريقة أكله وشربه ونومه فحسب، وإنما في أحاديثه الخاصة مع زوجاته.. وفي غضبه ورضاه.

وقد تكفلت زوجاته رضي الله عنهن بنقل ذلك إلى الناس.. وكذلك من كان يدخل عليهن كابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما.

وكان هذا من رحمة الله تعالى بهذه الأُمة، حتى يصوغ الناس بيوتهم وفقاً للمثال الذي عاشه النبي ﷺ.

وقد حاولتُ في هذا الكتاب أن أسجل كل ما وصل إلى علمي في هذه الدائرة وهو جهد المقل، وعسى أن يبارك الله به.

والذي أراه أن هذا الكتاب يمكن اعتباره نواة لهذا الموضوع، يحتاج إلى استكمال. وأرجو أن يهيء الله لي ذلك أو لغيري ممن هم أكثر علماً وأوسع فقهاً.

* * *



المهذب من (الشفا) للقاضي عياض

كتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض اليحصبي.

هذا الكتاب محسوب في جملة كتب الشمائل، والشمائل باب من أبوابه، والمؤلف لم يقصد إلى تأليف كتاب في الشمائل، وإنما قصد إلى بيان مكانة النبي ﷺ التي شرَّفه بها الله سبحانه وتعالى، ثم بيان ما يلزم المسلم تجاهه من حقوق التوقير والتعظيم والاحترام.

وبهذا كان الكتاب فريداً في بابه، فلم يؤلف على منواله، وإنما تناوله العلماء بالشرح والإيضاح، فكثرت شروحه.

وقد انتشر الكتاب انتشاراً واسعاً، وأصبح علماً يعرف به صاحبه فيقال: «صاحب الشفا».

وإذا كان هذا يدلّنا على مكانة الكاتب والكتاب، فإن ذلك لا يمنع أن يكون في الكتاب من الأمور ما ينتقد المؤلف من أجله.

وهذه الأمور التي هي محل النقد لا تنقص من قيمة الكتاب، ولا تضع مكانة المؤلف وكان من الممكن الإغضاء

عنها لولا أن الموضوع متعلق بسيرته ﷺ، الأمر الذي يؤدي إلى خلل في التصور عن هذا الرسول الكريم ﷺ.

إن كتاب «الشفا» على مكانته الرفيعة، اشتمل على عدد غير قليل من الأحاديث الضعيفة، وعدد لا بأس به من الأحاديث الموضوعة، الأمر الذي يخرج الكتاب عن أداء الصورة الصادقة التي توخَّاها مؤلفه رحمه الله.

قال الإمام الذهبي: «إن الكتاب محشو بالأحاديث الموضوعة والتأويلات الواهية».

وقد أشار الشرّاح وبعض المعتنين بالكتاب إلى هذه الأحاديث أو بعضها، وربما تغاضوا عن بعضها الآخر، ثقة بعلم المؤلف.

وسواء أشير إليها أم لم يُشَر، فإن هذه الأحاديث ظلت آخذة مكانها من الكتاب، تقرؤها عامة الناس على أنها مسلَّمات.

فكان لا بدّ من تهذيب الكتاب وتخليصه من الشوائب، وعندها يتناول القارئ الكريم الكتاب مطمئناً لما ورد فيه، لا يعكر صفو انسيابه مع ما يعرضه المؤلف بأسلوبه الجميل، مجيء حديث موضوع أو ضعيف، فيذهب بذلك الجمال، ويعكر ذلك الصفاء.

وقد أثنى المؤلف رحمه الله على كتّاب السيرة الذين حذفوا كل ما يسيء إلى الرسول ﷺ فقال:

«وقد ذكر بعض من ألّف في «الإجماع»: إجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجي به النبي ﷺ، وكتابته وقراءته، وتركه متى وجد دون محو.

ورحم الله أسلافنا المتقين، المتحرزين لدينهم، فقد أسقطوا من أحاديث المغازي والسير ما كان هذا سبيله..».

وإذا كان هذا رأيه فيما يسيء إلى النبي ﷺ، فما من شك بأن كثيراً من الأحاديث الموضوعة والضعيفة فيها من الإساءة قريباً من تلك الأخبار التي حذفها كتّاب السيرة، وقد ذكرتُ أمثلة على ذلك في مقدّمة الكتاب.

تلك هي الدواعي لتهذيب الكتاب، وقد خرّجت الأحاديث المتبقية، كما عملتُ على العناية بالكتاب من حيث الإخراج من ترقيم الفصول، ووضع عناوين للفصول التي تركها المؤلف بغير عناوين، وضبط النصّ، ووضع علامات الترقيم وغير ذلك مما هو ضروري لإخراج الكتاب بالشكل الذي يتناسب مع موضوعه.

* * *



أهل الصفة (بعيداً عن الوهم والخيال)

كانت قبلة المسلمين الأولى هي بيت المقدس، وعندما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة كان بناء المسجد أول الأعمال التي قام بها، وكان عبارة عن أرض أُحيطت بأربعة جدران، ظلل جانبه الذي يلي جدار القبلة بسعف النخل..

ولما نزل القرآن الكريم بتحويل القبلة إلى المسجد الحرام، وكانت في الاتجاه المقابل للاتجاه الأول، ترك المكان الأول، وظلل الجانب الثاني ليصبح مكان الصلاة.

وأطلق على المكان الأول اسم «الصفة» وأصبح مكاناً ينزل فيه المهاجرون العزاب ريثما يهيأ للواحد منهم السكن.

وأهل الصفة هم الذين أقاموا في هذا المكان تلك الإقامة المؤقتة، فبعضهم أقام ليوم أو ليومين، وبعضهم أقام شهراً، وربما أقام بعضهم مدة أطول من ذلك.

هذه هي الصفة، وهؤلاء هم أهلها.

ومع مرور الأيام.. نسجت القصص والأساطير حول أهلها..

فجُعِلوا أفضل الصحابة، وقيل إنهم كانوا متفرغين للعبادة.. وجعلهم بعضهم أصلاً في منشأ التصوف.. إلى غير ذلك من الترهات..

فرأيتُ أن أصحح التصور القائم في بعض الأذهان حول هذا الموضوع مما لا يمتُّ إلى الواقع والحقيقة بصلة.

فكان هذا الكتاب، الذي أرجو أن ينفع الله به، وهو وإن كان صغير الحجم، فإن الجهد المبذول في إعداده لا يتناسب مع عدد صفحاته.

* * *

وقد وصلتني رسالة من أحد القراء من الجزائر، بعث بها إلى «دار القلم» الدار الناشرة، وفيها يثني على الكتاب ويقول: إنه كان سبباً لتصحيح هذا الموضوع، لدى كثير ممن قرأ الكتاب.

* * *



الغرانيق (قصة دخيلة على السيرة النبويَّة)

وخلاصة القصــة: أن الرســول ﷺ كان في مجلس ضم المســلمين والمشركين، وقرأ فيه ســورة النجم، فلما وصل إلى قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩، ٢٠] ألقى الشــيطان على لسانه: «تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى»..

وقد ذكر هذه القصة كثير من كتب السيرة وكثير من كتب التفســير، وهي قصة باطلة، تكلّم في إبطالها كثير من علماء المسلمين، وروج لها المستشرقون.

وقد أفردها بعضهم بالتأليف، لإشباع القول فيها.

وجميع الذيــن تكلموا في إبطالها اعتمــدوا على إبطال أسانيدها، وأطالوا القول في ذلك.

وقد يسّر الله لي طريقاً آخر في إبطالها، وذلك عن طريق نقد متــن القصة، واعتمــدتُ علــى عامل الزمــن وترتيب الحوادث في هذا الإبطال، وهذا النــوع من النقد عنده كلمة الفصل في الموضوع.. ولم أرَ من أبطل القصة بهذه الطريقة.

فالحمد لله على ما منَّ به من الفهم والفِقه.

* * *



أضواء على دراسة السيرة

هذه مجموعة من المحاضرات ألقيتُ في قاعة محاضرات الجمعية الإسلامية في مدريد. في صيف عام ١٩٩٠، وقد طبعتها هذه الجمعية في «المكتب الإسلامي».

وهذه المحاضرات تعالج أمرين في شأن دراسة السيرة.

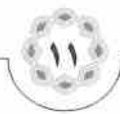
الأول: ويتناول المعلومات الأساسية لدراسة السيرة.

الثاني: وفيه دراسة لبعض الموضوعات لتكون نماذج للبحث.

منها:

- قضية فترة الوحي.
- الهجرة إلى الحبشة.
- قصة الغرانيق.
- حادثة «غدير خم».. وغيرها.

* * *



هكذا فهم الصحابة

جيل الصحابة ﵃ هـم القوم الذين اختارهـم الله تعالى ليكونوا أصحاب نبيه ﷺ، في مهمة حمل رسالة الهداية.

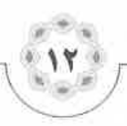
هـذا الجيل جيل فريـد، لأنه عايش نزول آيـات القرآن الكريـم آية آية، فعـاش الكلمات وعـاش الأحرف، وعاش النبضـات.. ورأى تصبـب العرق عن وجهـه ﷺ عند نزول الوحي.

عاش التكذيب والاضطهاد، والتعذيب والحصار..

هذا الجيل أتيح له ما لم يتح لغيره، ولهذا كانت خبراتهم وتجاربهم وفهمه للأمور يُعَدُّ مرجعاً في فهم كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ.

وقـد جمعتُ أثناء دراسـتي للسـيرة عدداً مـن مواقف الصحابة، وشرحتها وعلَّقتُ عليها.. فكانت هذه الرسالة.

* * *



الخلق العظيم

على صاحبه أفضل الصلاة والتسليم

جمعتُ في هذا الكتاب ما تيسَّــر لي من الحديث عن أخلاقــه ﷺ، وإن كان هذا الموضوع لا يســتطيع أن يوفيه حقه أحد.

والكتاب ليس عملاً جديداً، وقد ورد الحديث عن ذلك في كتاب «مــن معين الشــمائل» ولما كانــت الحاجة ملحة للتعرف على أخلاقه ﷺ بغية التأسي بها، رأيتُ أن أفرد هذا الموضوع من كتاب الشــمائل، وهو يعدل نصفه، وذلك لأن بعضهم قد لا يعلم أن عنوان «الشمائل» يشتمل على الأخلاق بمفهومها العام.

* * *

الباب الثاني

مـا سطـره القلـم



ذلك ما يسَّر الله العمل عليه في السُّنَّة والسيرة، وتحدثاً بنعمة الله وفضله سأذكر تحت عنوان «ما سطره القلم» الأعمال الأخرى التي أتيح لي إنجازها وستكون تحت العناوين التالية:

١ ـ **في الأخلاق وتهذيب النفس.**

٢ ـ **مشروع تقريب تراث الإمام ابن القيم.**

٣ ـ **دراسات جمالية.**

٤ ـ **علم المواريث.**

٥ ـ **تلاوة القرآن.**

٦ ـ **تراجم.**

٧ ـ **في الثقافة الإسلامية.**

هذا وسيكون الحديث في هذه الفصول مختصراً.



الفصل الأول

في الأخلاق وتهذيب النفس





المهذب من إحياء علوم الدين

يعدُّ كتاب «إحياء علوم الدين» أعظم كتب الغزالي وأكثرها شهرة، وقد أخذ مكانته في المكتبة الإسلامية، وفرض وجوده على مرِّ الأيام، منذ ألّفه مصنفه وحتى وقتنا الحاضر و«لا يعرف كتاب ـ بعد القرآن والصحاح ـ أثَّر في حياة المسلمين مثله» كما يقول الدكتور القرضاوي.

وقد كثرت مختصرات هذا الكتاب، وكثير منها ما زال مخطوطاً.

والذي دفعني إلى تهذيب هذا الكتاب: أني كنتُ في إحدى مكتبات «الكتاب المستعمل» التي قد يوجد فيها من الكتب ما لا يوجد في غيرها، فوقع بصري على كتيب صغير، عنوانه: «الإمام الغزالي بين مادحيه وناقديه» للدكتور يوسف القرضاوي، وقرأتُ الكتاب وكان مما جاء فيه:

«وكم أتمنى أن يختصر من الكتاب ـ أعني الإحياء ـ (منتقى) يبقي على روحه وحرارته، كما يبقي على فوائده العلمية والتربوية، وهي كثيرة وفيرة، ويحذف التجاوزات والمبالغات، والأحاديث الضعيفة.. وبهذا نقدِّم للثقافة الإسلامية خدمة جليلة».

وبعد قراءتي لهذا الاقتراح وجدتني منشرح الصدر للقيام بهذا العمل..

لم تنشــأ صلتــي بهــذا الكتاب بعــد قراءتــي لكتاب القرضاوي، وقد كنتُ قرأتُ معظمه أثنــاء دعوتي للاحتياط الثاني فــي الجيش.. وكان المكان في ســهل قريب من بلدة «نوى» في حوران..

وعدتُ إلى الكتاب أضــع خطة لتهذيبه، بعــد أن اطلعتُ على أكثر من مختصر مخطوط له في مكتبة جامعة الإمام، حيث لم أجد في هذه المختصرات ما يلبي الحاجة، لأن غايتها كانت تقليل حجم الكتاب، دون الاعتماد على منهج في الاختصار.

ووضعــتُ الخطة للعمل وباشــرته وخــرج الكتاب في مجلدين بعد أن كان في أربع مجلدات من القطع الكبير.

لا مجال لتفضيــل القول فيما قمتُ بــه من عمل فذلك مذكور في مقدمة الكتاب.

ولكي أقول إن «التهذيب» هو صورة مصغرة للكتاب، لها ما للصــورة الكبيرة، وفيها مــا فيها من المعالــم والظلال.. حافظتُ فيه على أبوابه الأربعين فلم أحذف شيئاً منها.

وقد لاقى قبولاً واستحســاناً ـ بحمــد الله ـ وطبع للمرة الثالثة في دار القلم بدمشق.

* * *

وفي يوم من أيام عــام ٢٠١٤م دق جرس الهاتف. وتكلم رجل فسلَّم، ثم قال: نهنئك ونخبرك بأن كتاب «المهذب من إحياء علوم الديــن» قد ترجم إلى اللغة الصينية، فشــكرته.. ومن فرحي بالخبر نسيت أن أسأله عن اسمه..



تهذيب حلية الأولياء للأصبهاني

ما زال كتاب «حلية الأولياء» منذ وضعه مؤلفه، هو الإمام والمرجع في الموضوع الذي يعالجـه، ولم يؤلّف بعده مثله في موضوعه.

وهو كتاب كبير يقع في عشرة أجزاء.

وقد جمع الكتاب كثيراً من أخبار الزهد والورع والتقوى والصلاح، بل ـ وكما قال في مقدمته ـ من أخبار المتصوفة.

والكتاب لا يعتني في تراجمه بالمنشـأ والمولد وتاريخ الوفاة والرحلات.. فليس هذا من اهتماماته.

وهو يحرص علـى التفريق بين فريقين ممن أطلق عليهم اسم التصوف: بين من تحقق به وبين من ادعاه.

وقال: «ونبـرأ من المتعظميـن والمتعمقيـن، ومن أهل الدعاوى.. ومن الكسـالى...، المتشـبهين بهـم في اللباس والمقال، والمخالفين لهم في العقيدة والفعال».

وقد ذكر الدكتور محمد الصباغ محاسـن كثيرة للكتاب منها:

١ ـ يرى القارئ فيه مُثلاً عليا فاضلة.

٢ ـ هو أوسع كتاب ذكر فيه أسماء النساء والعباد حتى عصره.

٣ ـ وهو من أغنى الكتب بالحِكم المختارة النافعة، والكلمات المؤثرة..

٤ ـ فيه مجموعة قيمة من المناجيات الإلهية..

* * *

وأما ما دعاني إلى تهذيبه فهو:

١ ـ إن المصنف يورد أخباره ومواعظه.. بالإسناد، وقد يكون الإسناد أطول من الخبر أو الموعظة، فرأيتُ أن حذف ذلك أمر مفيد وقد فعل السلف ذلك.

فهذا الحسن البصري يسأله أحد المستمعين في مجلس وعظه عن خبر: عمن؟ فيقول الحسن: وما تصنع بعمن؟ أما أنت فقد نالتك موعظته، وقامت عليك حجته، وقال ذو النون المصري: إسناد الحكمة وجودها.

٢ ـ يورد المصنف للخبر الواحد روايات متعددة تبعاً لتعدد الإسناد، فأبقيتُ على رواية واحدة وحذفتُ المكررات.

٣ ـ قد يتكرر الخبر في ترجمة عدد من الشيوخ فأبقيتُ على ذكر مرة واحدة في المكان المناسب لذلك.

٤ ـ مما أخذ على المؤلف تكرار بعض التراجم، فحذفتُ التكرار، وأضفتُ الزيادة إن وجدتُ في الترجمة الثانية إلى الأولى.

٥ ـ حذفتُ المنامات، إذ هي أمور تتعلق بمن رآها.

٦ ـ يذكر المصنف في نهاية كل ترجمة ما رواه صاحب الترجمة من الأحاديث، فحذفتُ ذلك كله، فالأحاديث تطلب في كتبها، وكثيراً ما كانت هذه الأحاديث أكبر من ضعفي الترجمة.

٧ ـ قسم المؤلف كتابه إلى عدة أقسام، تظهر لمن أمعن النظر في قراءة الكتاب، فلم تكن الفواصل بين الأقسام واضحة؛ لأنها جاءت في سطرين أو أكثر، ولم تلق هذه الفواصل العناية ممن طبعوا الكتاب.

فأظهرت هذه الفواصل وقد أضفتُ إليها تقسيمات أخرى من أبواب وفصول لتكون واضحة جلية، والأبواب والفصول ليست في الأصل ولكنها من عملي إيضاحاً لتقسيم المؤلف.

٨ ـ وقد أضفتُ أموراً تحسينية كثيرة لا مجال لذكرها..

فجاء الكتاب ـ بحمد الله ـ في ثلاثة أجزاء، مؤدياً الغرض الذي قصد إليه المؤلف كاملاً وطبعه «المكتب الإسلامي».

* * *

ويحسن هنا أن أذكر، أنه بعد ظهور الكتاب جاءتني رسالة من أحد القرّاء، بعث بها عن طريق «المكتب الإسلامي» خلاصتها: أن كتاب «تهذيب حلية الأولياء» لا فائدة جديدة فيه، فقد سبق إلى هذا العمل الإمام ابن الجوزي حيث اختصر الكتاب في كتاب «صفوة الصفوة»..

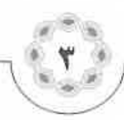
وأجبته برسالة خلاصتها:

١ ـ من قال إن كتاب «صفـــوة الصفوة» هو مختصر لـ«حلية الأولياء»؟ وابن الجوزي لم يقل هـــذا في مقدمة كتابه ولا في ثناياه!!

٢ ـ إن كتابي هو «تهذيب» وليس «اختصارا» فإني لم أحذف أي ترجمـــة بل أرقـــام المترجم لهم فـــي التهذيب هي الأرقام نفسها الموجودة في الحلية، ليرجع إلى الأصل من أحب ذلك.

٣ ـ عندمـــا ننظر في كتاب «صفوة الصفـــوة» نجد تراجم لا ذكر لها في «الحلية» فكيـــف يكون مختصراً ثم يضيف فيه، بـــل هناك عشـــرات التراجم تحت عنـــوان «عابد» و«عابد آخـــر» و«عابـــدة» و«عابدة أخـــرى» وكل ذلك تراجم لأناس مجهوليـــن.. فكيف يكون مختصراً ويزيد هذه التراجم لمجهولين.. وهي تراجم لا فائدة فيها.

* * *



تحقيق رسالة «المعرفة» للمحاسبي

كتاب «شرح المعرفة وبذل النصيحة» للإمام الحارث المحاسبي.

أثناء رجوعي إلى المخطوطات للبحث عن الجوامع للصحيحين.. وللبحث عن مختصرات كتاب «الإحياء» للغزالي وقفتُ على رسالة للحارث المحاسبي في مكتبة مركز الملك فيصل بالرياض، وبعد قراءتها أُعجبتُ بموضوعها فطلبتُ تصويرها.

ثم بحثتُ عن نسخ أخرى.. فحصلتُ على ثلاث مخطوطات أخرى لهذه الرسالة..

وتم تحقيقها.. وواضح من عنوانها أنها تحتوي على موضوعين: المعرفة والنصيحة.

ويرى المحاسبي أن المعرفة الواجبة على كل مسلم تتلخص بأربعة أمور:

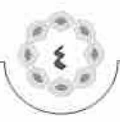
١ ـ معرفة الله ﷻ.

٢ ـ معرفة إبليس عدو الله.

٣ ـ معرفة الإنسان نفسه.

٤ ـ معرفة العمل لله تعالى.

وأما النصيحة: فقد جمع المحاسبي عدداً من النصائح تعد من عيون المواعظ.



سلسلة مواعظ الأئمة

طَبَعَتْ دار القلم في سلسلة «أعلام المسلمين» ترجمة للإمام «الحسن البصري».. وقد فرحتُ بخروج هذا العدد، وقرأته بإمعان، فالحسن البصري أحد الأعلام الكبار، فهو سيد التابعين..

والكتاب جهد طيب، جزى الله مؤلفه خير الجزاء، ولكني رأيته عندما تحدث عن مواعظه اختصر الكلام، وما كان حرصي على الكتاب إلا لأقف على طائفة حسنة من هذه المواعظ التي اشتهر بها الحسن البصري.

ولما لم أجد بغيتي عزمتُ على أن أقوم بجمع ما تيسر لي من هذه المواعظ.. فتتبعتها في كتب الرقائق والمواعظ والأدب..

وخرج الكتاب.. ولاقى قبولاً حسناً.. الأمر الذي دعاني إلى متابعة هذا العمل في جمع مواعظ أئمة آخرين فكانت هذه السلسلة، وقد بلغت عشرين عدداً، طبعها «المكتب الإسلامي» وأكتفي بذكر عناوينها:

١ ـ مواعظ الإمام الحسن البصري.

٢ ـ مواعظ الإمام إبراهيم بن آدم.

٣ ـ مواعظ الإمام ابن الجوزي.

٤ ـ مواعظ الإمام ابن قيم الجوزية.

٥ ـ مواعظ الإمام أبي سليمان الداراني.

٦ ـ مواعظ الإمام أحمد بن حنبل.

٧ ـ مواعظ الإمام الأوزاعي.

٨ ـ مواعظ الإمام الجنيد.

٩ ـ مواعظ الإمام الحارث المحاسبي.

١٠ ـ مواعظ الإمام زين العابدين.

١١ ـ مواعظ الإمام سفيان الثوري.

١٢ ـ مواعظ الإمام سلمة بن دينار.

١٣ ـ مواعظ الإمام الشافعي.

١٤ ـ مواعظ الإمام عبد الله بن المبارك.

١٥ ـ مواعظ الإمام عمر بن عبد العزيز.

١٦ ـ مواعظ الإمام الغزالي.

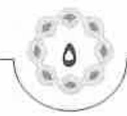
١٧ ـ مواعظ الإمام الفضيل بن عياض.

١٨ ـ مواعظ الإمام مالك بن دينار.

١٩ ـ مواعظ الإمام ابن تيمية.

٢٠ ـ مواعظ الشيخ عبد القادر الجيلاني.

* * *



مواعظ الصحابة

بعد البدء بجمع مواعـظ الأئمة، رأيـتُ أن من الأولى جمع مواعـظ الصحابة.. فبـدأتُ العمل على ذلك، وسـار العملان معاً.

ورأيتُ أن تكون مواعظ الصحابة في كتاب واحد، وذلك لأني لم أجد لبعضهم إلا الموعظتين أو الثلاث؛ الأمر الذي لا يساعد على أن يكون لكل صحابي جزء خاص به.

وقد قدمتُ لها بطائفة من مواعظ سيد المرسلين ﷺ إذ هي الأصل:

فجاء الكتاب ـ بحمد الله ـ مستوفياً لما هدف إليه.

وقد فاجأني أحدهم ـ فـي أحد الأيام ـ وهـو يقدم لي نسختين من الكتاب باللغة التركية، فإذا به صاحب مكتبة في «إسطنبول»، فشكرت له صنيعه.

* * *



الفصل الثاني

مشروع تقريب تراث الإمام ابن القيم



في غرفة المدرسين ـ في المعهد الذي كنتُ أدرس فيه ـ طاولة تتوسط المكان وحولها مقاعد المدرسين، كل منهم اختار لنفسه مكاناً اعتاد أن يجلس فيه.

ووقع نظري مرة على كتاب يتوسط تلك الطاولة، فلم أعره اهتماماً، وقلتُ إنه لأحد المدرسين.. فقد جرت العادة أن يضع كل مدرس كتبه مقابل المقعد الذي يجلس عليه..

ومضى أسبوع كامل والكتاب في مكانه لم يحركه أحد، فأخذته وقلت: لمن هذا الكتاب؟ فقال مدرس قواعد اللغة العربية: هذا الكتاب لي، قلت: ولماذا تركته هنا؟ قال: إني لا أريده، قلت: أتأذن لي أن أستعيره، قال: هو لك، قلت: بل أستعيره.

كان الكتاب «طريق الهجرتين» للإمام ابن القيم، وكانت تلك الطبعة مما وزع مجاناً، وربما كان ذلك سبب زهد صاحبه به.

وأخذتُ الكتاب، وقرأته في أيام قليلة، وأعدته إلى صاحبه، وقلتُ له: اقرأه ففيه خير كثير..

وأصبحتُ أتابعه.. فأقول: ماذا قرأت؟ وأين وصلت؟..

وبعد عشرين يوماً أو أكثر جاء بالكتاب وقال: خذه.. وبصراحة قرأتُ عشرين صفحة ثم لم أفهم بعد ذلك من قراءتي شيئاً.

فأخذتُ الكتاب وأعطيته إلى مدرّس مادة «التوحيد» بعد أن قلتُ له: هل قرأتَ هــذا الكتاب؟ قال: لا، قلتُ: أرجو أن تقرأه وتعطيني ملحوظاتك عليه.

ومرّت أيام وأنا أســأله عن قراءته.. وبعد أكثر من شــهر كرر مدرّس التوحيد موقف مدرّس قواعد اللغة العربية.

فأخذتُ الكتاب.. وفي المســاء عدتُ أســائل نفســي: مدرِّسان يدرِّســان في القســم الثانوي، أي ما قبل الجامعة، وهما من خريجي الجامعة، لم يفهما على الإمام ابن القيم!! فلمن كتب الإمام ابن القيم؟

ورجعتُ إلى الكتاب أقرؤه برويَّة وهدوء، لعلي أكتشف سبب ذلك. وبعد الانتهاء من ذلك تبيّن لي:

أن الكتاب كان حافلاً بالإسهاب والاستطراد.

أما الإسهاب، فذلك ناتج عن غزارة العلم وسعة الاطلاع، وهو يلبي استكمال الموضوع والإحاطة به.

وأما الاســتطراد، فإنما يكون لمناسبة في الكلام اقتضت ذلك.

ولكن بعض الاستطرادات في هذا الكتاب، كانت عبارة عن بحوث كاملة لها عناصرهــا ومقوماتها، ومع ذلك فهي جملة بين معترضين ضمن البحث، ولكن طابعَ الكتاب لم يضــع هاتين المعترضتيــن، ولو فعل لســاعد القارئ على الفهم.

وفي الكتاب فصول كثيرة، ولكـــن البدء بفصل لا يعني بدء بحث جديد، بل ربما كان شرحاً لفكرة وردت في الفصل السابق استطراداً.

وأسلوب ابن القيم الرائع جعل الكتاب شديد التماسك، فقارئ الكتاب كثيراً ما يصعب عليه التفريق بين الفكرة التي هي من البحث الأصلي وبين فكرة استطرادية بعدها، إلا إذا أشعره المؤلف بذلك، أو كان قد أمسك قلماً بيده وتتبع نقاط البحث ففرق بين الأصل والاستطراد.

وقد ســاعد على عدم التفريق هذا، طول الاستطرادات، وتتابعها بعض الأحيان فقد يكون الاســتطراد صفحات، وقد يشــعرك المؤلف بذلك عندما يقول: ولنرجع إلى المقصود.. فيعلمك بذلك، وإذا كان هذا القول بين عدد من الاستطرادات فلا تدري إلى أيها تعود.

هذا الوضع من أســلوب الكتابة حال دون فهم كثير من القرّاء لبعض كتب الإمام ابن القيم.

وإزاء هــذا الوضع رأيــتُ أن أخرج الاســتطرادات من النص، وأُبقي على الموضوع الأصلي متتابعاً مرتباً في فصول وأبواب.

وأما الاستطرادات التي تشــرح جملة أو كلمة فإني أضع لها رقمــاً فــي المتــن وأضعهــا فــي الحاشــية.. وكذلك الاستطرادات ذات الأسطر القليلة.

أما الاستطرادات الطويلة التي يكون الواحد منها موضوعاً قائماً بذاته، فإني وضعتُ لها عناوين، وجعلتها في قسم خاص بها في آخر الكتاب.

وبهذه الطريقة سهل على كل قارئ التعامل مع الكتاب.

تلك هي قصة صلتي بالإمام ابن القيم وكتبه.

* * *

واستمرت بعد ذلك صلتي بكتبه.. فإذا الأسلوب نفسه والطريقة نفسها، مع بعض الفروق تبعاً لطبيعة الموضوع محل البحث..

وبدأتُ أخرج كتبه، الواحد بعد الآخر، في هذا المشروع الذي سميته «مشروع تقريب تراث الإمام ابن القيم».

لم يكن تعاملي مع كل كتبه بطريقة واحدة، بل تعددت الطرق، وقد شرحتُ ذلك تفصيلاً في ترجمة الإمام ابن القيم الذي طبعته «دار القلم» في سلسلة أعلام المسلمين برقم (٩٥).

وكانت الكتب التي ظهرت ضمن هذا المشروع:

١ ـ تقريب طريق الهجرتين.

٢ ـ الوابل الصيب من الكلم الطيب.

٣ ـ سيرة خير العباد.

٤ ـ البيان في مصايد الشيطان.

٥ ـ القضاء والقدر.

٦ ـ الهدي النبوي في العبادات.
٧ ـ الهدي النبوي في الفضائل والآداب.
٨ ـ الروح.
٩ ـ الجواب الكافي.
١٠ ـ فضل الصلاة والسلام على خير الأنام.
١١ ـ إعلام الموقعين.
١٢ ـ زاد المعاد.

وهناك كتب تطلَّبتْ جهداً مضاعفاً حتى تمَّ العمل بها لطبيعتها الخاصة، وهي:

١٣ ـ المهذب من مدارج السالكين.
١٤ ـ الطرق الحكمية في السياسة الشرعية.

وهناك كتب استخرجتها من كتب الإمام ابن القيم وهي:

١٥ ـ قل انظروا.
١٦ ـ فضل العلم والعلماء.
١٧ ـ فصول في الاعتقاد.
١٨ ـ طب القلوب.

تلك هي باختصار شـديد قصة هذا المشروع الذي أرجو أن ينفع الله به.

* * *





الفصل الثالث

دراسات جمالية



لستُ من هواة الفلسفة ولا من محبيها، وإن كان البحث الذي أقدم له مصنفاً فيها، ومحسوباً عليها، كما هو معروف، كما أني لســـتُ ممن اشـــتغل بالفن، وإن كنتُ ممن يستهويه الجمال.. ولكن للموضوع قصة.

كان ذلك أثناء تلاوتي للقرآن الكريم، وفي محاولة للوقوف على الخطـــوط العريضة التي يتميز بها القـــرآن المكي، بغرض كتابة بحث قصير عن ذلك في كتاب «من معين السيرة».

وكانت التلاوة يومها في ســـورة يوســـف.. وتلوتُ قوله تعالـــى: ﴿... فَصَبْرٌ جَمِيلٌ...﴾ [يوسـف: ٨٣]. وتابعتُ قراءتي، فإذا بي أجدني مشـــدوداً للعودة إليها، وكأنـــي أقرؤها للمرة الأولى!! ووقفتُ أتأملها ـ ومرّ زمن غير قصير.. وتســـاءلتُ كيف يكون الصبر جميلاً؟ إنه المرارة حسّـــاً ومعنًى، فكيف يوصف بالجمال؟

وأحسستُ بعد ذلك أن الجمال في هذه الآية ليس مجرد وصف، وإنما هو الوصف الذي امتـــزج بالحقيقة، وإذا الآية لوحة يشع الجمال من كل أطرافها، وغاب الصبر تحت وهج ذلك الجمال فلم يبق له أثر.. وبقي الجمال هو الذي يتعامل مع القارئ.

ورجعت إلى التفاســـير أنشـــد فيها المعنى، فلم أحصل على ما يروي الغليل، بل إن الكثير من المفسرين لم تستوقفه

الكلمة، فالتعبير عنده من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى شرح وإيضاح، ومنهم من توقف قليلاً ليقول كلمة أو كلمتين..

ففي تفسير الطبري ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ هو الذي لا جزع فيه.

وعند ابن كثير والرازي: أي فسأصبر صبراً جميلاً.

وفي الظلال: إنه سيصبر صبراً متجملاً لا يجزع ولا يفزع ولا يشكو.

ورجعتُ إلى كتب اللغة.. ثم إلى كتب فقه اللغة.. ولكن دون جدوى..

ويممتُ بعد ذلك شطر «كتب الجمال» أبحث في طياتها.. فلم أجد سوى سراب خادع، يغرك مرآه فإذا أتيته لم تجده شيئاً.

واستقرَّ في خلدي أن للإسلام نظرة جمالية عامة، ينبغي تفهمها، والبحث عنها، وكان القرآن هو المرجع الوحيد.. كنتُ أقرأه بإمعانٍ ورويةٍ وتؤدةٍ أسجل من آياته كل ما له صلة بالجمال، فوجدتني أمام كتاب الله الذي لا تنقضي عجائبه.

وتكررت عودتي إلى القرآن بهذا القصد.. وإذا بي ـ ومن خلال الآيات التي تجمعت لديّ ـ أمام ظاهرة جمالية صبغت المنهج الإسلامي بصيغتها، فكانت في مادته وفي الشكل، فهي ليست عملاً تزيينياً، وليست وصفاً إضافياً بل هي في طبيعة مادة المنهج وفي خواصه..

وتبيّن لـــي أن القرآن الكريم وحده يســتقل بصياغة هذه الظاهرة وبيانها، أما السُّنَّة فكان لها الدور الكبير في الموضوع التطبيقي لهذه الظاهرة وهو ما نســتطيع تســميته بـ «التربية الجمالية».

وســأحاول تســجيل هذه الظاهرة، بعون الله، بعيداً عن النظريات.. ذلك أن هذه الظاهرة ســمة من ســمات المنهج العظيم فما يصلح أن تستعار لها القوالب من هنا وهناك..

قد يلتقي بعض علمــاء الجمال مع الظاهــرة في بعض جزئياتهــا، وهــذا لا يعني أن الإســلام قد أخــذ من هؤلاء وأولئــك، ولكنهم بعــد بحثهــم التقوا مع بعــض جزئيات الحقيقة.. ولن يهتدوا إليها كاملة، ذلك أنهم لم يهتدوا بهدي الله تعالى.

ومن المعلــوم أن ما يســمونه «علم الجمــال» هو علم حديث[1]، وحينما نســجل هــذه الظاهرة إنما نعــود بها إلى النصوص يوم جاء الإســلام، ولم يكن أحــد يومها فكر في شيء يسمى علم جمال.

وإذا كان هناك شيء يحســن التنويه به فهو قلة المصادر بالنســبة لموضــوع الظاهــرة الجمالية، الأمر الــذي جعلني أنصرف بكليّتي إلــى المرجع الأول والأخيــر.. إلى القرآن

(١) ظهر مصطلح «علم الجمال» على يد الفيلســوف الألماني «جوتيب بومجارتن» (١٧١٤ـ١٧٦٢)م.

الكريم. هـذا من حيث المـادة وأما من حيث الشـكل فقد بذلتُ وسـعي ـ وأرجـو أن أكون قـد وفقتُ ـ فـي ترتيب الفصول بحيث يؤدي كل منها غرضه في ترابط نقاطه بعضها مع بعض، وفي كونه تمهيـداً للفصل الذي يليه، حيث تكوِّن بمجموعها وحدة متكاملة هي الظاهرة الجمالية في الإسلام، وإذا كان قـد حالفني بعـض التوفيق فذلك فضـل الله الذي أحمده عليه، وإذا كنـتُ قد أخطأت... فأسـتغفر الله لذنبي، شاكراً لمن يرشدني إلى الصواب.

وما كانت قلة المصادر عن جدب في الفكر الإسـلامي، وإنمـا هي الأمور حينما تكـون معتادة قلَّمـا يُهتم بها، وقد كانت القضية الجمالية واقعاً عاشـه المسلمون، وبخاصة في القرون الأولى، فبات الفرد المسلم يعايش الجمال، بل يعيشه حقيقةً لا وهمـاً، وواقعاً لا خيالاً... وقف زيـاد بن أبيه بين يدي عمر بن الخطاب ﷺ يشـرح للمسلمين انتصار إخوانهم المجاهدين.. وذلك إثر وقعة جلولاء.. فأعجب عمر بفصاحة الخطيب، فقال: إن هـذا لهو الخطيب المصقع، فقال زياد: يا أمير المؤمنين: إن جندنا أطلقوا بالفعال لساننا.

وما كان جمـال الكلمات وفصاحتها إلا قبسـاً من واقع المسـلمين، الذي أضحى بفضل الله قادراً على أن يجعل من العيي خطيباً، ومن الأصم سميعاً...

عاش المسـلمون هذا الواقع وظنـوا أن الحياة كلها هكذا... وتناسـق الجمال فـي كل ميادين الحيـاة يومئذٍ

بعضه مع بعض... فإذا اللوحة من صنع الله لأنها أُنشئت وفق منهج الله.

إن الذين عاشوا الجمال شغلهم ما هم فيه عن تسجيله وتدوينه، ومع ذلك فلمَ يسجلون؟ إن هذا الواقع هو دائماً نتيجة حتمية لتطبيق منهج الله.

وإذا كان الجمال ـ وفقاً لخاصية الشمول ـ له علاقة بكل قضايا الحياة ظاهرها وباطنها، وبعبارة أخرى: جمال الظاهر وجمال المعنى فإن الدراسات الجمالية المعنوية هي التي عُني المسلمون بها، وإن كان هذا لا يعني إهمالهم للجانب الآخر.

* * *

كان ذلك بعض ما جاء في مقدمة الجزء الأول من هذه الدراسة وضعتها لبيان الباعث عليها..

وكان عليّ من أجل استكمال هذه الدراسة أن أقوم بدراسة وافية لعلم الجمال ونظرياته التي كثرت في الغرب، وكذلك كتب الفن..

وقرأتُ كثيراً.. كثيراً.. واستغرق ذلك سنوات.. أكتب ما يلفتُ نظري من هذه الكتب في بطاقات، وأسجل مرجع كل بطاقة..

ولما شعرتُ أني استكملتُ التصور في ذهني عن علم الجمال ونظرياته.. وأصبح لديّ فكرة واضحة عن الفن ومدارسه.. عدتُ إلى القرآن الكريم أقرؤه بهدوء وتدبر،

وأكتب كل آية يمكن أن تسهم في استكمال هذا المشروع. وبعد الانتهاء من ذلك عدتُ إلى البطاقات التي كنتُ كتبتها ـ وقد أصبحت كماً كبيراً ـ أفرزها بحسب موضوعاتها..

ومن خلال هذا الفرز تبيّن لي أن هناك أربعة موضوعات رئيسة:

١ ـ ما يتعلق ببناء النظرية الجمالية.

٢ ـ ما يتعلق بمواطن الجمال التي هي:

٣ ـ الطبيعة والإنسان والفن.

٤ ـ ما يتعلق بالتربية الجمالية.

٥ ـ ما يتعلق بالفن.

وبهذا استكملتُ المرحلة الأولى من العمل.

ورجعتُ إلى بطاقات الموضوع الأول لأقوم بتصنيفها، ومن خلال هذا التصنيف استطعتُ وضع هيكل البحث وتقسيمه إلى فصول.

وبعدها جاء دور صياغة هذه الفصول ووضع تلك النقول في أماكنها، وعزو كل قول إلى قائله التزاماً بالأمانة العلمية، حتى ولو كان هذا القول جملة واحدة، وأذكر أني قرأتُ كتاب «التربية عن طريق الفن» تأليف «هيربرت ريد» وهو يزيد على (٤٠٠) صفحة ولم أستفد منه سوى جملة واحدة.. فكان واجباً عليّ أن أعزوها إلى مكانها..

وتمّت صياغة الجزء الأول وفيه عرض للظاهرة الجمالية في الإسلام مقارنة بالنظريات الغربية.. وكان عنوان الجزء الأول:

١ ـ الظاهرة الجمالية في الإسلام.

وهكذا تتابع العمل حتى ظهرت الأجزاء الثلاثة الأخرى وهي:

٢ ـ ميادين الجمال في الظاهرة الجمالية.

٣ ـ التربية الجمالية في الإسلام.

٤ ـ الفن الإسلام (التزام وإبداع).

وبهذا كمل العمل.

وأحبُ هنا أن أشير إلى أن الكتاب الأخير لما وصلني فوجئتُ بخطأٍ في العنوان وقع من الخطاط حيث كان (التزام وابتداع) و(ابتداع) كلمة ثقيلة على اللسان شوهت جمال العنوان ولم تؤدِ المعنى المطلوب بدقة.

ولم يكن من السهل تدارك ذلك.

* * *

ومرّت الأعوام لتدل على أن هذه الدراسة لم يكن لها رواج لدى القرّاء، فهو بحث جديد، وإنما يدرس عادة في الجامعات في كليات الآداب، فهو بحث متخصص.

ومع ذلك فقد أثنى عليه بعض النقّاد، وكتب مقالاً في مجلة البيان بهذا الشأن.

ولما رأيتُ الأمر كذلك وضعته على الشبكة العنكبوتية، فكان عدد القرّاء كبيراً.

وقمتُ بمحاولة أخرى، وهي استخراج خلاصة للأجزاء الثلاثة الأولى والاقتصار فيها على عرض الفكر الإسلامي دون المقارنة مع الفكر الغربي وذلك لتقريب الموضوع إلى القرّاء. وكان عنوان الكتاب:

٥ ـ «الجمال في منهج الإسلام وتشريعه»

ومهما يكن من أمر:

فإن هذا البحث فريد في بابه، وهو يفتح باباً للثقافة الإسلامية في هذا الميدان، وربما أصبح في المستقبل هو المؤسس لهذا العلم، كما كانت «مقدمة ابن خلدون» تأسيساً لعلم الاجتماع.

هذا وقد اعتدي على هذه الدراسة، فكتب أحدهم كتاباً عن الجمال عند الإمام ابن تيمية واستعار من كتاب «الظاهرة الجمالية» أربعاً وخمسين صفحة دون الإشارة إلى المصدر.

وظهرت رسالة ماجستير عن جامعة اليرموك في إربد في الأردن بعنوان: «التربية الجمالية رؤية إسلامية» استعارت كثيراً من النصوص والأفكار من «الظاهرة الجمالية» و«التربية الجمالية» وبعد مراسلتي للجامعة بهذا الشأن كان جوابهم: هذا اقتباس.

ولا بأس، فلا يعتدى إلا على الأشياء الثمينة والنادرة.

* * *

وأخيرًا:

فقد قال الإمام ابن القيم مادحاً بعض بحوثه بقوله: «وهذا لا تظفر به مجموعاً في كتاب واحد غير هذا البتة» اهـ.

ولو قلت كما قال ابن القيم لكنت صادقاً فيما قلت، ولا أقول هذا افتخاراً، فهذا ليس من شأني، وإنما أقوله للفت النظر إلى قيمة العمل.

إن هذه السلسلة لا تزيد صفحاتها على (٧٠٠)، قد يقرؤها الإنسان في أيام، ولكنه يزيد في «عمره العلمي» السنوات التي قضيتها في إعداد هذا البحث.

وهذا كسب لا يقدره إلا الباحثون.

* * *





الفصل الرابع

علم المواريث

كتاب
«الفرائض فقهاً وحساباً»



قال الإمام ابن تيمية في كتاب الاستقامة (٨٥/١): «علم الفرائض من علم الخاصة، حتى إن كثيراً من الفقهاء لا يعرفه».

أحمد الله تعالى أن أتيح لي أن أدرِّس هذه المادة لسنوات.. كان من حصيلتها جمع هذا الكتاب «الفرائض فقهاً وحساباً».

وكتب الفرائض ـ بحمد الله ـ كثيرة، وما أردتُ أن أضيف لها رقماً، ولكني رأيتها اتجهتُ في طريقة تأليفها وجهة واحدة، فعلم الفرائض يقوم على أمرين: فِقه الفرائض، ثم حساب هذه الفرائض، فهذه الكتب وضعت المعلومات الفقهية كاملة في قسمها الأول حتى إذا ما انتهت، انتقلتُ إلى الباب الثاني وهو الحساب.

وقد تبين لي أثناء قيامي بتدريس هذه المادة خطأ هذه الطريقة وأنها هي السبب في صعوبة تدريس هذه المادة لمن يمارس ذلك، وصعوبة التلقي على الطالب.

فهناك بين المعلومات الفقهية ما لا يمكن فهمه إلا بعد معرفة الحساب في الفرائض، وأمر آخر، وهو أن الطالب بعد حفظ ذلك الكم من الشروط ـ وهي شروط متداخلة ـ لكل وارث، يصعب عليه استحضارها جميعاً عند حل المسألة.

وهذا ما دفعني إلى وضع هذا الكتاب.. وقد جاء ذلك على مراحل..

قسَّمتُ الكتاب تبعاً لقسم الحساب وجعلتُ المعلومات الفقهية تابعة لذلك، وكانت الأقسام ثلاثة:

١ - ما يتعلق بحل المسألة البسيطة وهي ذات المتوفى الواحد.

٢ - ما يتعلق بحل مسائل ذات طابع خاص، وهي تابعة للمتوفى الواحد.

٣ - ما يتعلق بحل المسائل المركبة والتي فيها أكثر من متوفى، وكذلك ميراث الحمل والمفقود..

أما القسم الأول ففيه جل المعلومات الفقهية، وفيه يتعامل الطالب من الدرس الثالث مع مسائل الحساب، بما أسميته «الحل الجزئي للمسألة» بحيث يتدرج مع المعلومات التي يتلقاها.. فيحل من المسألة ما مرَّ معه من المعلومات:

- ابتداء من التمييز بين من يرث ومن لا يرث.
- ثم تأصيل المسألة...

وهكذا تبعاً للدروس التي يتلقاها..

وبهذه الطريقة سهُل تعليم الفرائض، ولقد أُجريَتْ تجربة على مجموعة من طلاب الثاني المتوسط فكانت ناجحة وأمكنهم تعلم الفرائض.

إن مصطلحات: «الحل الجزئي للمسألة» و«المسألة البسيطة» و«المسألة ذات الطابع الخاص» و«المسألة

المركبة».. كل ذلك مما وضعته من مصطلحات لا وجود لها في الكتب الأخرى.

وقد جعلتُ الكتاب ذا ترتيب مدرسي.

فهو يتألف من جزأين:

الأول: وفيه المعلومات مقسمة إلى دروس ضمن الترتيب الذي أشرتُ إليه، وفي نهاية كل درس أسئلة وتمارين على الطالب أن يحلها، وهذه التمارين مرقمة ترقيماً متسلسلاً من أول الجزء إلى آخره، بحيث يكون لكل مجموعة من الأسئلة رقم واحد وقد بلغ مجموع هذه التمارين (٣٩) بعدد الدروس التي حواها الكتاب.

الجزء الثاني: وفيه حلول التمارين التي وردت في الجزء الأول، وهي تحمل الترقيم ذاته.

فالطالب بعد أن يتلقى الدرس، يحل التمارين التابعة له، ثم يذهب إلى مطابقتها مع حلولها في الجزء الثاني ليعرف الصواب والخطأ.

إن هذا الكتاب يمكن أن يتعامل معه طالب العلم دون الاستعانة بمدرس، فالمعلومات مبسطة إلى حدٍّ كبيرٍ.

ومن حقي أن أقول كما قال الإمام ابن القيم: «هذا ما فتح الله به.. وألهمه بفضله وكرمه، والله يعلم أن هذا الكتاب لو كان لغيري لبالغت في استحسانه».

هذا ما يسَّره الله تعالى في هذا الكتاب، وأرجو أن يتقبله الله تعالى وينفع به.





الفصل الخامس

في تلاوة القرآن الكريم

وقفتُ أثناء قراءتي على كلمتين بشأن تلاوة القرآن الكريم، إحداهما للصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ، والثانية لسيد التابعين الإمام الحسن البصري ﷺ، ويسّر الله جمع كتاب لكل كلمة.



نداء الإيمان في القرآن الكريم

قال الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ـ مخاطباً قارئ القرآن ـ:

«إن استطعتَ أن تكون أنتَ المحدَّث، وإذا سمعتَ الله سبحانه يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة: ١٠٤] فأَرعِها سمعك، فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه».

ومنذ قرأتُ هذه الوصية وأنا أحاول أن أطبقها، ثم بدا لي أن أجمع الآيات التي تبدأ بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وأشرحها شرحاً مختصراً يجعلها في متناول الأيدي وقد بلغ عدد هذه الآيات (٨٩) آية.

ثم رأيتُ أن أجمع ما عالج منها موضوعاً واحداً في باب واحد.. وبعد هذا الجمع تبيّن أنها ترسم ـ على قلة عددها ـ خارطة عامة لمعالم الإسلام بيّنة الحدود.

ففي الباب الأول كان الحديث عن أصول الدين وتحته فصول.

وفي الباب الثاني: العبادات، وتحته فصول.

وفي الباب الثالث: الأخلاق وفضائل الأعمال، وتحته فصول.

وفي الباب الرابع: المعاملات والأحكام، وتحته فصول.

وهكذا تتضح معالم الصورة التشـريعية التي جاءت بها هذه الآيات الكريمة.

* * *



رسائل قرآنية

أما الكلمة الثانية التي قالها الإمام الحسـن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندما خاطب قرّاء القرآن في زمنه قائلاً:

«إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسـائل من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل، وينفذونها في النهار».

وقد قرأتُ القرآن في ظلال هـذا القول، فرأيته كما قال، ولكن بعض هذه الرسـائل جاء واضحاً صريحـاً يفهمه كل قارئ، وبعضها الآخر يحتاج إلى فِقه لاستنتاجه.

وفي القرآن الكريم أكثر من سـتة آلاف آية، وبعض هذه الآيات تحمل الواحدة منها: الرسـالة والرسـالتين والثلاثة، وبعضهـا الآخر قد يكـون في العـدد من الآيات الرسـالة الواحدة.

وقد تحدثتُ في مقدّمة هذه الرسـائل عن ضرورة توثيق صلتنا بالقرآن الكريم والأدب اللازم عند قراءتنا له.

وقد جمعت في الكتاب أربعين رسـالة، وشـرحت هذه الرسائل شرحاً مبسطاً.

* * *

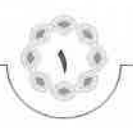




الفصل السادس

تراجم





الإمام الغزالي

حجة الإسلام ومجدد المائة الخامسة

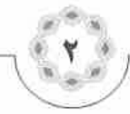
بعد أن يسَّر الله لي إخراج «المهذب من إحياء علوم الدين» طلب مني الأستاذ محمد علي دولة صاحب «دار القلم» رحمه الله تعالى، أن أكتب ترجمة للإمام الغزالي، لتكون ضمن سلسلته «أعلام المسلمين» فأجبته بأن ترجمات الإمام الغزالي كثيرة، ولا تحتاج إلى إضافة، فأصرّ على ذلك وقال: إنك عايشته مع أهم كتاب له وهو «الإحياء».

ونزولاً عند رغبته قمتُ بالعمل، وكان هناك قيد: أن لا يكون الكتاب أكثر من (٣٠٠) صفحة تناسقاً مع السلسلة.

إن صعوبة العمل مع كثرة المصادر شبيهة بصورة العمل عند قلتها.. فالذين كتبوا عن الغزالي كُثر، وكان عليّ أن أستطلع ما أستطيع مما كُتب لاستكمال الصورة، إيجاباً وسلباً، فهناك المحبون وهناك المبغضون، ولقد قرأتُ في كتابة بعضهم أنه كاد يصرح بتكفيره!!

ويسّر الله استكمال الكتاب، وأحمد الله أن الثناءات عليه كانت كثيرة.

* * *



الإمام ابن قيم الجوزية

الداعية المصلح والعالم الموسوعي

عشتُ أياماً طويلة مع الإمام ابن القيم رحمه الله في المشروع الذي بدأتُه وهو «تقريب تراث الإمام ابن القيم».

واتصل بي الأستاذ محمد علي دولة رحمه الله تعالى مرة أخرى، ليطلب مني ترجمة له.

وهذه المرة لم أتردد في تلبية طلبه، فهناك ما أقوله في ترجمته بناءً على تلك المعايشة، على الرغم من كثرة الترجمات له.

وقد يسَّر الله ذلك، وخرج الكتاب ضمن سلسلة أعلام المسلمين.

* * *



ابن الجوزي يتحدث عن نفسه

أتيح لي أن أقرأ كتاب «صيد الخاطر» للإمام ابن الجوزي.

ورأيته في بعض فصول كتابه يتحدث عن نفسه وتجربته، وذلك مبثوث في الكتاب في أماكن متفرقة، فرأيتُ أن جمعها أمر مفيد يعطي تصوراً أقرب عن هذا العالم الكبير، فقمتُ بهذا الجمع.

ورأيتُ أن أضيف إلى ذلك خلاصة آرائه في الإصلاح..

وختمتُ الكتاب بفصل من كتابه «ذم الهوى» لما فيه من التذكير والاعتبار.

وأرجو أن أكون قد قدّمتُ خلاصة مفيدة للقارئ عن هذا الإمام.

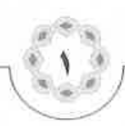
* * *



الفصل السابع

في الثقافة الإسلامية

أختم ما تقدم بهذا الفصل، أذكر فيه ما تبقى من الكتب التي لم تنضو تحت العناوين الســابقة، وهي جميعاً تحت العنوان الكبير: الثقافة الإسلامية.



رضيتُ بالإسلام ديناً

كنتُ أقرأ في كتاب «الروح» للإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكانت المسألة تتعلق بسؤال القبر، عندما استوقفني واسترعى انتباهي نص السؤال الذي هو عن: الرب، والدين، والنبي.

وقد مرَّ بي هذا البحث كثيراً، وهو منصوص عليه في الأحاديث الصحيحة والمتفق عليها، ولكن الذي لفت انتباهي هذه المرة، هو قلة الأسئلة وشمولها.

إن المسؤول عن هذه القضايا، هي في الحقيقة أصول الإسلام وقواعده الكبرى، وبغض النظر عن كونها أسئلة القبر، فهي مما يجب على كل مسلم معرفته، والجهل بها غير مقبول بحال من الأحوال.

وهذا ما دفعني إلى وضع هذا الكتاب وفقاً لترتيب هذه الأسئلة:

١ ـ العلم بالله تعالى.

٢ ـ معرفة الدين.

٣ ـ معرفة الرسول ﷺ.

٤ ـ بيان أن القرآن هو مصدر هذه المعرفة.

وأضفتُ إلى ذلك ما يترتب على هذه المعرفة مما ينبغي على المسلم فعله. فبينت:

١ ـ آثار الالتزام بالإسلام على العقل.

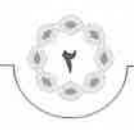
٢ ـ آثار الالتزام بالإسلام على الروح.

٣ ـ آثاره على الجسم.

٤ ـ آثاره على العمل.

إنه كتاب يبين عقيدة المسلم ويوضح ما يترتب على ذلك من عمل.

* * *



محبة الله ورسوله شرط في الإيمان

تقرر الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة أن حب الله ورسوله شرط لصحة الإيمان، بل إن وجود الإيمان بالله ورسوله مرتبط بوجود حب الله ورسوله.

قال الإمام ابن تيمة: «محبة الله بل محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الإيمان وأكبر أصوله وأجلّ قواعده، بل هي أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين».

وهذا أمر أجمعت عليه الأُمة، وهذا ما أكده الإمام الغزالي بقوله: «لا خلاف بين علماء الأُمة، بل إنهم مجمعون على أن محبة الله ورسوله شرط في صحة الإيمان، أخذاً بدلالة النصوص الكثيرة الواردة في ذلك».

ولما لهذا الموضوع من خطر؛ رأيتُ أن أجمع ما يتعلق به في كتاب.

فكان هذا الكتاب متمماً للكتاب قبله: رضيتُ بالإسلام ديناً».

* * *

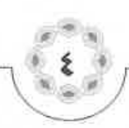


الإسلام دين التيسير

الإسلام دين التيسير، هذا أمر لا شك فقد قال ﷺ: (**إن هذا الدين يسر**) ومع كل الوضوح الذي حملته تشريعات هذا الدين بشأن التيسير، فإن فريقاً من طلبة العلم المبتدئين ـ وهم قلة ـ لم يستوعبوا هذا الأمر، فأخذوا أنفسهم بالشدة، وحكموا على الناس من خلال مفهوم ضيق.

وقد ضمّني من أحدهم مجلس فرأيتُ عجباً.. فكتبتُ هذه الرسالة في هذا الموضوع علَّها تسهم في توضيح هذا المفهوم.

* * *



الصلاة.. الصلاة

(هذا آخر ما تكلم به النبي ﷺ)

كانت تلك وصيته ﷺ لأنه في آخر ما تكلم به، فرأيتُ أن أتحدث عنها في هذه الرسالة.

وهذه الرسالة ليست بحثاً في فِقه الصلاة، فلذلك البحث كُتبه ومراجعه، ولكنها كلمات قصدتُ بها بيان مكانة الصلاة بالنسبة لفروض الدين الأخرى، إذ ينبغي على المسلم أن يجعلها المركز في دائرة اهتمامه.. فيرتب أعماله وفقاً لما يتطلبه أداؤها في أوقاتها..

وقفتُ عند قوله تعالى: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٣٨] وحاولتُ جهدي بيان كيفية المحافظة عليها، والطريق إلى تحقيق ذلك.

وتحدثتُ عن النوافل باعتبارها مكملات للفروض..

إنها أضواء على بحث الصلاة من جوانب متعددة.

* * *



نظرات في هموم المرأة المسلمة

تحتل قضية المرأة الصدارة في اهتمامات المثقفين في هذه الأيام، كما أنها السلاح الأمضى الذي يستعمله أعداء الإسلام في محاربته.

فهم ينطلقون منها للطعن على الإسلام.

أوليس الإسلام هو الذي يقرر أن النساء ناقصات عقل ودين؟

أوليس هو الذي يقرر أنهن أكثر أهل النار؟

أليس هو الذي قرر مشروعية ضربهن؟.. إلخ ذلك.

وفي هذه الرسالة على صغر حجمها بيان للحق.. هذا البيان لم يكن مجرد كلام إنشائي، وإنما حجج مستندها النصوص، إنها ليست تكراراً لما تكلم به الآخرون.

* * *



في سبيل حياة اجتماعية أمثل

هذه الرسالة هي عبارة عن خواطر كتبتُ في أوقات متعددة، رتبتها وضممتُ الشبيه إلى شبهه، وهي في مجموعها مما يساعد على الوصول إلى الأمثل في بناء الفرد، وبالتالي المجتمع.

* * *

بهذا انتهت هذه الرحلة التي استغرقت من حياة كاتبها أكثر من خمس وثلاثين عاماً حاول أن يقدّم فيها لنفسه وللإخوة القرّاء ما رأى فيه النفع، وما كانت الحاجة ملحة لوجوده، راجياً من الله تعالى القبول والعفو عن الزلل، شاكراً للأستاذ مصعب الشامي رسالته التي استدعت هذه الإجابة، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

* * *

اللهم، ربنا تقبل منّا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، وعُدْ علينا بعوائدك الحسنى يا كريم.

اللهم، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا

تحمل علينا إصراً كما حملته علــى الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا مــا لا طاقة لنا به، واعفُ عنا، واغفــر لنا، وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.

وصلى الله على سيدنا وحبيبنا محمد النبيّ الأميّ وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

كلمة شكر

لقد كان الحرص على الوقت وعدم إضاعته عاملاً مهماً في إنتاج ما سبق ذكره.

وفي هذا السياق، وعملاً بقوله ﷺ: **(من لم يشكر الناس لم يشكر الله)** أرى من واجبي أن أسجل كلمة شكر لزوجتي أم تحسين؛ اعترافاً بالجميل الذي كان بعضه توفير الوقت الذي تحدثتُ عنه. فالله يجزيها خير الجزاء على ما قدّمتْ.

وكنت من قبل وفي مقدمة كتاب «الفن الإسلامي» قد جعلت الإهداء لها فقلت:

إلى من جعلها الله سكناً، فكانت كذلك.

وجعلها قرة عين، فكانت كذلك.

إلى المواسية في البأساء والضراء.

ورفيقة الدرب في الحط والترحال.

أهدي هذا الكتاب.

* * *

وكذلك الشكر لأولادي: تحسين وعمار ومحمود، وإيمان ومؤمنة وهدىٰ، فقد ساهموا أيما مساهمة في توفير ذلك الوقت. فالله يجزيهم خير الجزاء ويجعلني وإياهم في عباده الصالحين.



السيرة الذاتية للكاتب



علم بعض الإخوة بكتابتي هذه الرسالة، فرغبوا أن أكتب بعضاً من السيرة الذاتية، وتلبية لطلبهم أقول:

• أسرة آل بوبس؛ أسرة كبيرة في حي الميدان بدمشق، وجدُّنا أحد أبناء هذه الأسرة، وقد انتقل إلى «دوما» ـ وهي يومئذ قرية في شمال شرقي دمشق تبعد عنها ١٥ كم ـ واستقرّ بها، ومع مرور الأيام غلب على الأسرة اسم الشامي.

• والدي هو الشيخ أحمد بن صالح بوبس الشامي، أحد علماء دوما، وكان يشغل وظيفة الإفتاء فيها، ولم يكن مرجعاً لأهل البلد وحدهم، بل كان مرجعاً لأهل القطر، بل وكثيراً ما جاءته الأسئلة من خارج القطر.

• والعبد الفقير إلى الله تعالى صالح بن أحمد بوبس الشامي، من مواليد عام ١٩٣٤م الموافق لعام ١٣٥٣هـ، أتممت دراستي الابتدائية في دوما، ثم أخذ والدي بيدي وذهبنا إلى دمشق إلى «معهد العلوم الشرعية» التابع «للجمعية الغراء» حيث سجلني في هذا المعهد، وهو معهد داخلي ينام الطالب فيه.. ويرجع إلى أهله في الإجازة الصيفية.

• ومضى العام الأول والثاني والثالث في هذا المعهد، ولما كان بدء العام الرابع، حيث في نهايته يتقدم الطالب إلى الامتحان ليحصل على الشهادة المتوسطة «الكفاءة»، جاءني زميل لي في الصف وهو أخ كريم اسمه: محمود يوسف

عفش ـ من قرية عندان في ضواحي حلب ـ فقال: ماذا ستعمل؟ قلت: وماذا أعمل؟ قال: إن شهادة هذا المعهد لا تقبل لدخول الجامعة، ولذا علينا أن نتقدم في نهاية العام لاختبار شهادة «الكفاءة العامة» حتى نستطيع دراسة الثانوية العامة بعد تخرجنا من المعهد،.. وندخل الجامعة..

كان الكلام مقنعاً، فاختبار الثانوية العامة لا يستطيع التقدم إليه إلا من حصل على شهادة «الكفاءة».

وقلت له: ما العمل؟ قال: نذهب إلى «المسكية» وهي بجانب المسجد الأموي وهي سوق تباع فيه الكتب، فنشتري كتب شهادة الكفاءة وندرسها إضافة إلى دراستنا لشهادة الكفاءة الشرعية.. واشترينا الكتب..

وكنّا ندرس هذه الكتب خفية لأن المعهد يمنع أن يشغل الطالب نفسه بغير مواده، وكان هناك أوقات للدراسة منضبطة تحت رقابة المشرفين الليليين.

ومع ذلك يسّر الله لنا الاستفادة من الأوقات الضائعة ودرست هذه الكتب مع زميلي.. وقدمنا في نهاية العام طلباً إلى مديرية المعارف بدمشق للاشتراك في الاختبار، وقُبِل الطلب، وأُعطينا مكان الاختبار وكان في ثانوية «أسعد عبد الله».

ومن حسن الحظ أن موعد اختبار المعهد كان قبل موعد اختبار الشهادة العامة، مما أتاح لنا أداء كل من الاختبارين براحة ويسر.

وظهرت النتائج وكنت وزميلي ـ بحمد الله ـ من الناجحين في كلا الاختبارين.

وأذكر أني في يوم من أيام هذا العام التقيت بأحد طلاب ثانوية السعادة المجاورة لمعهدنا وفي يدي كتاب «الفيزياء» فقال: وماذا تعمل بهذا الكتاب؟ قلت أدرس فيه.. فضحك وقال: نحن متفرغون لهذه الدراسة وكثير منا يرسبون.

• وتابعت الدراسة في المعهد في العام الخامس والسادس، وهو الصف الأخير في المعهد حيث يحصل الطالب على شهادة المعهد الثانوية.. وتم الاختبار، وكان النجاح، وكنت الأول في الترتيب بين الناجحين..

• وكان المخطط أن أنتسب إلى ثانوية أهلية أدرس فيها لنيل الثانوية العامة، ولكن صادف أن افتتحت كلية الشريعة في الجامعة السورية «جامعة دمشق» فيما بعد.

وقُبِلتْ الشهادات الشرعية إضافة إلى اختبار آخر للدخول إليها، ويسّر الله النجاح، وأصبحت أحد طلاب الصف الأول في هذه الكلية..

كان عدد المتقدمين كبيراً، ولكن الذين اجتازوا الامتحان بنجاح بلغ عددهم (٨٩) طالباً شكّلوا الصف الأول في هذه الكلية.

كان البناء المعدّ لهذه الكلية في الجامعة نفسها، وارتفعت

لوحة «كلية الشريعة» في واجهة البناء، إلى جانب لوحة «كلية الآداب»..

• قليل من طلاب كلية الشـريعة الذين كان لباسهم يدل على انتمائهم لهـذه الكلية، أما معظم الطـلاب ـ وأنا واحد منهم ـ فكان لباسنا كلباس بقية طلاب الجامعة.

ومع ذلك فكثيراً ما كنا نسمع من بعض طلاب الكليات الأخرى كلمة «وجاء المشايخ» استهزاء.

كان المنهاج المقرر ثقيلاً، فقـد كان عدد المواد المقررة (١٧) مادة.. وعلى سـبيل المثال كان كتاب «علم الاجتماع» الذي كان يدرسه الدكتور عبد الكريم اليافي، مقرراً في ساعة واحدة في الأسبوع وهو يقارب (٧٠٠) صفحة، وهو مادة من هذه المواد.

وجاء الاختبار في نهايـة العام، وكان عدد الناجحين (٩) تسعة طلاب من أصل (٨٩) طالباً.

وهنا تغيـرت النظرة إلى هذه الكليـة، حتى أطلق عليها بعضهم اسـم (رف)/٢ فهناك شـهادة «الرياضيات والفيزياء» كثيراً ما كان إعـلان النتائج فيهـا «لم ينجح أحـد» باللون الأحمر.. فجاءت كلية الشريعة مشابهة لـ(رف).

وكنت ـ بحمـد الله ـ الأول في الترتيـب على الطلاب الناجحيـن، وهذا ما حَمَّلنـي عبئاً ثقيلاً في الأعـوام التالية للمحافظة على هذا المستوى..

وقد سأل عني الدكتور عبد الكريم اليافي الذي كان يدرسنا «المنطق» و«علم الاجتماع» بعد ظهور النتائج، ولم أكن يومها في الجامعة، فقيل له: ماذا تريد منه؟ فقال: إنه الطالب الوحيد الذي أخذ العلامة التامة في المنطق (١٠٠) وكانت علامة الطالب الذي يليه (٤٥).

• ومضت السنوات الأربع وتخرجت من الكلية وتقدمت إلى مسابقة اختبار المدرسين ونجحت فيها وعينت في محافظة السويداء، حيث قضيت فيها سنتين.

• ثم طُلبت لأداء خدمة العلم ـ كما يطلق عليها ـ والتحقت بكلية الضباط الاحتياط بحلب، فأمضيت فيها سنة ثم نقلت إلى القطعات ـ برتبة «ملازم».. وسرحت بعد مضي السنة الثانية.

• وعدت إلى التعليم في دوما حيث تمّ نقلي إليها أثناء وجودي في الخدمة العسكرية، كان ذلك عام ١٩٦١م.

ثم استدعيت لخدمة الاحتياط عام ١٩٦٦م حيث أمضيت سنة.

ثم استدعيت للمرة الثانية عام ١٩٦٨ وكان المقر قريباً من نوى.. حيث أمضيت أكثر من سنة، ولما جاء إنهاء هذا الاستدعاء سلمت أمتعتي وأجريت معاملة الانفكاك وكان آخرها توقيع قائد القطعة، ودخلت عليه باللباس المدني فأديت التحية وفقاً للنظام، وقدمت له الورقة ليوقع عليها، فلما نظر فيها ضحك ضحكة فيها الكثير من السخرية وقال: من قال لك

أنك أنهيت عملك؟ قلت: الإشعار الذي جاءكم نسخة منه وجاءتني نسخة منه، قال: لن تذهب حتي يأتي البديل.

قلت: أنا موظف في وزارة التربية والتعليم، وقد وصلهم إشعار بانتهاء خدمتي الاحتياطية هذه، وتأخري عن الدوام عندهم يعد غياباً، فأرجو أن تعطيني إشعاراً من قبلك بالاحتفاظ حتى يأتي البديل لأقدمه إلى مديرية التربية والتعليم.. فلما سمع ذلك تغير وجهه الضاحك، ثم وقع الورقة وخرجت دون التحية.. كان اسمه إلياس كعدة.. فتركته وغادرت الثكنة متوجهاً إلى بلدي.

• واستمر عملي في التعليم في بلدي..

وفي عام ١٩٧٥م قمت بأداء فريضة الحج بصحبة والدي ـ رحمه الله ـ ومرة أخرى ١٩٧٩م.

وفي عام ١٩٧٨م صدر قرار من الدولة بنقل أكثر من (٣٠٠) مدرس ومدرسة من التعليم إلى وزارات الدولة الأخرى، وجميعهم من ذوي الاتجاه الإسلامي، وجميعهم من المتميزين في أداء عملهم، ولو كانوا من دولة أخرى لكرمتهم..

وكنت واحداً منهم، وكان مكاني الجديد، في وزارة المواصلات، فرع حرستا، وهو مكان قريب من دوما..

وأخذت ورقة التحويل، وذهبت إلى مدير هذه الدائرة، فلما رآها ضحك، وقال:

ما أرى لك مكاناً إلّا أن أقوم عن هذا الكرسي ـ للكرسي الذي يجلس عليه ـ وتجلس فيه أنت، فمرتبتك هي الثانية في السلم الوظيفي ومرتبتي هي الرابعة.. وضحكنا..

ثم قلت أرجو أن يكون العمل بعيداً عن التعامل مع المراجعين، فقال ستكون في الدائرة المالية في قسم الإحصاء، وذهبت إلى هذا المكان، فإذا المدير شاب في مقتبل العمر، فلما رأى ورقة التحويل وعرف أني خريج لكلية الشريعة، بادرني بالسؤال: هل تحسن استعمال الآلة الحاسبة؟ وبادرته على الفور بقولي: إن كنت لا أحسن فالأمر قابل للمعرفة وأن يتعلم الإنسان ما يجهله.. كان ذلك بلهجة ساخرة.. وهكذا بدأت العلاقة مع هذا الشخص.

ولم تمض إلّا أيام قليلة حتى اكتشفت تلاعباً في الأرقام.. فهناك داخل وصادر ووفقاً لمفهوم الحسابات العامة ينبغي أن يتطابق الرقمان.. فلما رأيت هذا الخلل عرضت عليه الأمر، فقال: تابع العمل ولا تهتم للأمر، فقلت: كيف أتابع والخلل كبير، ولما رأى اكتشافي للتلاعب.. نقلت إلى عمل آخر..

كنت في عملي أمضي الأيام حتى استكمل عشرين عاماً في الخدمة، حتى يحق لي طلب الإحالة على التقاعد.. ولما مضت الأشهر المتبقية لذلك طلبت الإحالة على التقاعد، وتمّ ذلك.

• ومنـــذ تخرجت من الجامعة وأنـــا أخطب الجمعة في بلدي، وكان ذلك في المساجد التي لا تتبع الأوقاف، وهي: جامع (النعســـان) ثم في جامع (البغـــدادي) ثم في جامع (التوحيـــد)، واســـتمرت خطبتي فـــي هذا الجامـــع إلى أن غادرت البلد.

كانت الخطبة تأخـــذ مني جهداً غير قليل، فكنت مع بدء الأسبوع اختار «الموضوع» ثم اســـتجمع الأفكار في ذاكرتي فإذا كان يوم الجمعة جلســـت بعد صلاة الفجر لأسجل هذه الأفكار وأرتبهـــا كتابة كعناصر للخطبة، فإذا أخذت شـــكلها النهائي تأملتها وحفظت صـــورة ترتيبها في ذهني، ولم تكن خطبتي مقروءة من ورقة في يوم من الأيام.

وذلـــك لأن الخطبـــة المكتوبة تولد ميتة، فهي جســـم بلا روح، فكيـــف تبعـــث الحيـــاة فـــي الســـامعين؟! ولقـــد كان رســـول الله ﷺ يكون كأنه منذر حرب، وصلى عبد الله بن عمر إلى جانب المنبر يوماً، فقال: حتى نظـــرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه، حتى إني لأقول أساقط هو برسول الله ﷺ.

إن الله وضـــع بين يدي الخطيب أوقـــات الناس وألزمهم الاســـتماع، فالواجب عليه أن يحســـن القول ويحسن الأداء، وأن يكون هو منفعلاً بالكلام حتى يكـــون مؤثراً في الناس، إنها مسؤولية موضوعة في عنقه وهو مسؤول عنها.

• وقد كانت لي مشاركات في المناسبات العامة.. وكذلك إلقاء بعض المحاضرات في المركز الثقافي.



وزارة الثقافة والإرشاد القومي
المركز الثقافي العربي
دوما

يتشرف المركز الثقافي العربي بدوما بدعوتكم للاستماع الى المحاضرة

التي يلقيها :

الأستاذ صالح الشامي

وموضوعها :

. « قبســات من هجرة الرسول ﷺ » -

وذلك في تمام الساعة السادسة والنصف من مساء يوم السبت في ١٧ / ١٢ / ١٩٧٧

« في قاعة محاضرات المركز الثقافي »

• ويحسن بي هنا ـ ضمن حديثي عن الثقافة ـ أن أذكر أسماء أساتذتي في المعهد الذي قضيت فيه دراستي الإعدادية والثانوية: وهم: الشيخ عبد الكريم الرفاعي، والشيخ عبد الغني الدقر، والشيخ عبد الوهاب دبس وزيت (الحافظ)، والشيخ عبد الرحمن الزعبي الطيبي، والشيخ أحمد الجباوي، والشيخ خالد إنخل، والشيخ نايف العباس،.. وغيرهم ممن أنساني بعد العهد ذكرهم رحمهم الله تعالى.

وأما أساتذتي في الجامعة. فهم: الدكتور مصطفى السباعي، والشيخ محمد المبارك، والدكتور معروف الدواليبي، والشيخ مصطفى الزرقا، والدكتور أحمد السمان،

والدكتور عدنان الخطيب، والدكتور عمر الحكيم، والشيخ محمد المنتصر الكتاني، والشيخ أبو اليسر عابدين، والشيخ علي الطنطاوي، والدكتور عبد الكريم اليافي.. وغيرهم.

• أما من الناحية المادية، فلم أعول على راتب التعليم، وإنما انصرفت إلى العمل في تجارة البناء، مع شريكين آخرين، حيث كنا نشتري الأرض، ثم نبنيها ونبيعها.

وقد لبى هذا العمل بعض هوايتي في علم الهندسة الذي كنت سأدرسه لولا أن كلية الشريعة افتتحت في العام الذي أنهيت فيه دراسة الثانوية الشرعية، والخير فيما اختاره الله.

فكنت أخرج في السادسة صباحاً فأركب سيارتي أتوجه إلى البناء لأطمئن على سير العمل وهكذا إلى الساعة السابعة والنصف حيث أتوجه إلى الثانوية..

• وبعد تحويلي من التعليم إلى المواصلات اشتدت حملة الدولة البعثية على أصحاب الفكر الإسلامي.. ففي كل يوم معتقل، وفي كل يوم مُدَاهَمٌ في بيته..

وجاءني أحد الأقرباء الناصحين، وقال: ماذا تنتظر؟ تنتظر أن تعتقل اليوم أو غداً، غادر البلد.. وأرحنا من الهم بشأنك، عند ذلك سعيت في أمر الخروج ويسر الله التعاقد مع جامعة الإمام محمد بن مسعود للتدريس في معاهدها.

لم أفكر في السفر يوماً من الأيام للعمل.. وقد فعل ذلك بعض زملائي، وذلك لأني لم أتصور أني استطيع أن يمضي

يوم لا أمرُّ على والديّ فيه، فقد كنت أعود من الثانوية ظهراً إلى بيت الوالد قبل أن أعود إلى بيتي، وفي المساء أكون عنده أساعده في استقبال ضيوفه، أو استقبال المستفتين.. لقد كان بيته ـ رحمه الله ـ مقصوداً حتى أتعبه ذلك، ومع ذلك فما كان يعتذر عن استقبال أحد وفي أي وقت من الأوقات.

• وأما من الناحية المادية فالمبلغ الذي تعاقدت عليه لم يكن يساوي شيئاً بالنسبة للدخل الذي كان عندي من البناء..

• كان ذلك في ١٩٨٠/٧/١٦م الموافق للرابع من رمضان عام ١٤٠٠ عندما حملت الجواز واتجهت إلى المطار، وكان عبور المطار إلى الطائرة أمراً مخيفاً، فقد اعتقل بعضهم أثناء ذلك.. ولكن الله سلم.. ووصلت إلى الطائرة، حيث تنفست الصعداء واستقر بي المقام على أحد مقاعدها..

وحطت الطائرة في مطار الرياض..

وتبعتني زوجتي وأولادي بعد شهر.. عدا ولدي الكبير تحسين الذي كان بلغ سن الثامنة عشر، والنظام في السعودية لا يسمح بدخوله تبعاً لوالده.. وكان وضعه الأمني مقلقاً لا لشيء إلى لأنه يحمل اسم أبيه.. واضطر بعد ذلك أن يغادر البلد إلى قبرص، ومنها إلى ليبيا، ثم إلى اسبانيا.

• جرت عادة الناس التهنئة بقدوم المسافر، ولكن بلغني بعد سفري أن الناس قدموا على أهلي يهنئونهم بسلامة المغادرة.

• وبنزولي في مطار الرياض بدأت صفحة جديدة. تكشفت سطورها مع مرور الأيام كان العمل الذي وجهتني إليه إدارة الجامعة هو المعهد العلمي بقرية الدلم على بعد ١٠٠ كم من الرياض.

إن هذه الصفحة الجديدة لو أردت أن أكتب تفصيلاتها لكتبت مجلداً، ولكني أذكر بعض المواقف من السنة الأولى تدل على ما بعدها.

لما ذهبت لأداء الخدمة الإلزامية في كلية الضباط الاحتياط في سورية أصبحت رقماً من الأرقام، ككل الطلاب الآخرين، وهنا في الغربة أصبحت رقماً في جملة المتعاقدين تحت اسم «متعاقد».

بدأ العام الدراسي وأعطيت جدول الساعات، وكان في مادة التفسير، وبعد أسبوع استدعيت إلى الإدارة وعرض عليَّ المدير استلام مادة «المذاهب المعاصرة» في الصف الثالث الثانوي، وكانت قد قررت ذلك العام، وليس لها كتاب، وإنما هي عناوين الموضوعات في صفحة واحدة، وعلى المدرس أن يعد هذه الموضوعات.. وهي ساعة واحدة في الأسبوع أخذت من ساعتي مادة «التوحيد» الذي بقي له ساعة واحدة.

وهكذا أصبح عندي إضافة إلى التفسير: المذاهب المعاصرة والتوحيد في الصف الثالث الثانوي وبدأت العمل..

كانت نظرات الطلاب إلينا نحــن المتعاقدين أننا جماعة جاءت لتكســب العيش، فنحن أجراء في خدمة الطلاب.. أو هكذا كان يخيل إلي..

ثم هنــاك إشــكالية في صحــة عقيدتنا، فنحــن نتظاهر بالتدين لأن الجو العام يقتضي ذلك!!

رفع طالب يــده في أحد الــدروس في الصــف الثالث الثانوي فقال: مــا حكم اللحية يا شــيخ؟ فأجبته على الفور بقولي: اجلس فإن لحيتي من بلدي.

وأدركت ما أراد بسؤاله، فكان ذلك الجواب.

كانت مادة التوحيد تشــتمل على أركان الإيمان وأركان الإســلام في كتاب صغير وهذه المعلومات كنت تلقيتها وأنا صغير في الصف الثالــث الابتدائي، فهي من المعلومات من الدين بالضرورة.

فأحببت أن أســتفيد من الوقت فأتوســع في البحث، فدخلت إلى الصف ووضعت على السبورة كلمة «الإنسان» بخط كبير، ثم بــدأت أتحدث عن غاية وجود الإنســان.. وذلك في ظلال قولــه تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ومضى الدرس ولما كان الــدرس الثاني أحببت أن أتابع الموضــوع، فوقف أحد الطــلاب المتميزين في اجتهادهم وقال: يا شــيخ، ما تتكلم به ليــس موجوداً في الكتــاب، قلت: أجل، إنــي أدري ذلك، ومــا في الكتاب

يعرفه الطلاب الصغار، فقال: ولكن المشايخ الذين وضعوا الكتاب موثوق دينهم..

وأدركت ما أراد.. وهو الشك في معتقدي وعندها قلت لأحد الطلاب أفتح الكتاب وبدأت أتعامل معهم كما يتعامل المعلم في الابتدائي مع طلابه..

• وهكذا، وبصريح القول، كان الشك قائماً في عقيدتنا ـ نحن المتعاقدين ـ كما أن تمسكنا بالدين كان تظاهراً لمجاراة الجو العام.

ما كنت أظنني في يوم من الأيام أني سأكون في مثل هذا الموقف.. ولكن هذه كانت أولى ثمرات الغربة.

لست بحاجة إلى بيان عقيدتي والدفاع عنها..

وهي التي هاجرتُ من أجلها وتركتُ أهلي وبلدي..

ولكن أقول لهؤلاء وأمثالهم.. إن الرجل كان يأتي إلى النبي ﷺ فيقول: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله) فيصبح بذلك واحداً من المسلمين بل واحداً من الصحابة رضي الله عنهم.

وأنا أشهدُ هذه الشهادة منذ وعيتُ.. وأرجو أن أموت عليها.

إن الذين يضعون أنفسهم بين الله وبين خلقه، ويجعلون من أنفسهم حكَّاماً على الناس.. سيسألون عن ذلك.

• ومــرت الأيام بطيئــة ثقيلــة تحمل فــي طياتها تلك النظرات وتلك الكلمات إلى أن جاء الاختبار النصفي، وكان علــى كل مدرس أن يعــدَّ الأســئلة ويعرضها علــى المدير ويسلمها له.. وفعلت ذلك.

وجرى الاختبار وقام المدرسون بتسجيل الدرجات..

وكانت المفاجأة أن نسبة الرسوب في مادة «التفسير» في جميع الصفوف تزيد على ٥٠٪ وهذا شــيء لم يحدث ـ فيما علمته بعد ـ في المعهد من قبل في أي مادة من المواد.

وفي هذا الاختبار كانت نســبة النجاح مرتفعة بل ممتازة في بقية المواد.

واستدعيت إلى الإدارة وكان الســؤال: ما هذه النتيجة؟ فقلت: هذا السؤال لا يوجه إليّ، فأنا أدرس منذ عشرين عاماً. وقد قمت بواجبي وكانت الأسئلة من ضمن الكتب المقررة، وقد عرضتها عليكم. فإذا كان الطــلاب لم يقوموا بواجبهم. فهذا لا أسأل عنه وسكت المدير ولم يقل شيئاً.

وجاء اختبار آخر العام ولم تتغير هذه النسبة، ولم يتدخل المدير في تعديلها، وكان ذلك من حقه.

وتوقع كثير من المدرسين إلغاء عقدي تبعاً لهذه النتيجة. ولكن هذا لم يحدث وجاء العقد مجدداً.

واستطاع كثير من الطلاب اجتياز الدور الثاني بنجاح..

هذا الوضع أفادني في السنوات التالية حيث فهم الطلاب أن المادة التي يدرسها الشيخ الشامي تحتاج إلى بذل جهد وجد واجتهاد.. فأصبح إلقاء الدروس أمراً مريحاً بالنسبة إلى ما سبق. وتأقلم الطلاب مع المدرس.

وقد أمضيت في «الدلم» سبع سنوات، جاء بعدها نقلي إلى تبوك، وقد حاول مدير المعهد الشيخ عبد الرحمن الجاسر ـ رحمه الله ـ جهده في بقائي في المعهد على أن أقوم بتدريس اللغة العربية ولكن جهوده لم تفلح.

• وسافرت بالطائرة إلى تبوك حيث استأجرت بيتاً وعدت لأركب سيارتي بمعية زوجتي وأولادي متوجهين إلى تبوك.

إنها رحلة أخرى، وغربة بعد غربة..

لم يكن اللقاء مع مدير المعهد في تبوك مريحاً، فقد رأيت في عينيه نظرات الطلاب يوم بدء قدومي وتناسيت أو بالأحرى تجاهلت ذلك، وكذبت نفسي وقلت لها إنه شعور انعكس عليك جراء الرحلة والتعب.

ودعيت مع المدرسين الآخرين إلى اجتماع قبل بدء العام الدراسي، استمر لمدة ساعتين. كنا فيه وكأننا أطفال صغار تلقى علينا المواعظ، وشعرت بكثير من المهانة.. وضبطت نفسي.. فكلنا متعاقدون،، وطفَّ الصاع، ووجدت نفسي مندفعاً للرد عليه.. وخرجنا.. وأحاط بي المدرسون، وقالوا كل سنة يجري هذا الدرس ولا نرد عليه..

ومضى عامان في تبوك لم تكن الأمور فيه على ما يرام..

• ثم نقلت إلى عرعر.. وكان مدير المعهد فيها الأستاذ سليمان الفيفي رجلاً شهماً أديباً وشاعراً.. يحترم جميع الناس..

وكان كثيراً ما يمر أمام الصفوف أثناء الدروس فيجدني واقفاً ألقي الدرس..

فيقول لي: يا أستاذ اجلس فمثلك ينبغي أن يجلس، إنه يأتينا المدرس الجديد وفي سنته الأولى ليجلس على الكرسي من أول الدرس إلى آخره.

وكان مما قلت له: إن جلوس المدرس يغيب عنه الطلاب الذين يجلسون في آخر الغرفة، وتغيب عن الدرس الحيوية والنشاط، إن وقوف المدرس يساعد في ضبط الطلاب وحركة المدرس تجعلهم يتفاعلون مع الدرس.

ومضت سبع سنوات في عرعر، وعندها كنت وصلت إلى السن المسموح به.. وجاء إنهاء خدمتي وعدت إلى الرياض.. وأقمت فيها.

إنها الغربة.. بل غربة جاءت بعدها غربة ثانية.. وثالثة.. والغربة ظلام، يشتد تارة، ويخف أخرى.. ولقد رأيت أنا وأسرتي من شدته ما فيه الكفاية.. كانت كربات.. ما تنتهي الواحدة.. حتى تليها الأخرى ولكن فضل الله تعالى واسع وخيره عميم، فقد أعان على تجاوز ذلك.. على أن هذا الظلام تخللته إضاءات كثيرة.. أذكر واحدة منها:

فما زال طلابي في الدلم، وبعض طلابي في عرعر ـ وقد أصبحوا في مناصب عالية ـ يواصلونني ويزورونني، فلهم الفضل.. ولهم مني جزيل الشكر.

كما أن كثيراً من طلاب العلم في الرياض ـ وفي مدن المملكة الأخرى إذا قدموا إلى الرياض ـ يزورونني.. فَصِلةُ العلم لا تعرف الحواجز، وهو رحم بين أهله.

فهذه الإضاءات كانت تبدد بعض تلك الظلمة..

إنها أيام غربة بل أكثر من غربة.. وإني في الرياض في انتظار الفرج، فعسى أن يأتي الله به ويعود الغريب إلى وطنه.. نسأله تعالى أن يحقق ذلك إنه نعم المسؤول.

* * *

اللهم، اختم بالصالحات أعمالنا، نلقاك وأنت راضٍ عنا، مولانا رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

الفهرس

الفصل الثاني:

الفصل الثالث:

الفصل الرابع: